الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية بين الشيعة والصوفية
(دراسة تحليلية نقدية مقارنة)

دكتور/ محمد محمود عبد الستار

مدرس الفلسفة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة المنوفية

ملخص البحث باللغة العربية:

تعدُّ قضية الولاية من القضايا الشائكة؛ لارتباطها بمفوم السلطة ؛ فأهل السنة والجماعة، لديهم مفهومهم الخاص بهم؛ فهي سلطة بشرية، قائمة على الشورى ورضا الرعية؛ لأنها عقد إجماعي بين الحاكم والرعية. أما الشيعة فالبعد السلطوي لمفهوم الولاية عندهم، هو بعد سياسي، فالسلطة عندهم إلهية، والأئمة هم وحدهم المنوطون بها، بداية من الإمام علي، مرورا بأبنائه، ولهذا البعد بعض الدعائم، من بينها النص والتعيين والعصمة والعلم، ولهذه الدعائم بعض المظاهر؛ تتمثل في عدم الخروج على الإمام، والطاعة العمياء له. أما عند الصوفية، فالبعد السلطوي لمفهوم الولاية عندهم؛ يتمثل في البعد الروحي، فالسلطة عندهم باطنية ،يمثل القطب أعلى سلطة فيها، إلى الوصول إلى النجباء، ولهذا البعد بعض الدعائم لهذا البعد السلطوي الروحي، من بينها النسب، ثم الحفظ، ثم التوسم والفراسة، وأخيرا الهيبة، ولهذه الدعائم بعض المظاهر؛ تتمثل في الأدب، ثم الطاعة.

Research summary in English:

The issue of guardianship is considered one of the thorny issues because it is linked to the concept of authority. The Sunnis and the community have their own concept of it. It is a human authority based on consultation and the consent of the subjects because it is a unanimous contract between the ruler and the subjects. As for the Shiites, the authoritarian dimension of the concept of guardianship is a political one for them, for power is divine and the imams are the only ones entrusted with it, starting from Imam Ali through his sons, and this dimension has some pillars, including text, appointment, infallibility and knowledge, and these pillars have some appearances represented in not deviating from the imam and blind obedience to him. As for the Sufis, the authoritarian dimension of the concept of guardianship is represented in the spiritual dimension, for them the power is internal, the pole is the highest authority in it to reach the nobles, and this dimension has some pillars for this spiritual authoritarian dimension, including lineage, then memorization, then branding, physiognomy, and finally prestige, and these pillars have some manifestations represented In literature, then obedience.

المقدمة:

مما لا شك فيه؛ أن قضية الولاية من القضايا الشائكة على مر التاريخ الإسلامي؛ وذلك لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية السلطة، فمن أهم تعريفات الولاية؛ أنها السلطة التي يمارسها فرد أو جماعة أو دولة، وما دامت السلطة ظهرت على مسرح الأحداث ؛ فلا بد أن يكون هناك نوع ما من المصالح المتبادلة، ويتضح ذلك بصورة أوضح وأعمق؛ في السياسة وإدارة المجتمعات، إلا أن السلطة لها أبعاد أخرى، وتتغلل في ثنايا حياة الإنسان الدينية والاجتماعية والاقتصادية. وقد أخذ مفهوم السلطة أشكالا متعددة خاصة ؛ حينما ارتبطت السياسة بالدين في المجتمعات العربية الإسلامية ،كمفهوم الإمامة، ومفهوم الولاية، ومفهوم الخلافة، إلا أننا في بحثنا هذا، سوف نركز على مفهوم الولاية، الذي أخذ أبعادا دينية وأخلاقية، إلى جانب ارتباطه الأساسي بالسياسة ؛ ولذلك اختلفت الرؤى، وتفرقت الجماعات، وتعددت المذاهب، فإذا حاولنا تحديد مفهومها من الإسلام، وهو المنبع الأساسي، الذي تستند إليه الفرق والمذاهب الإسلامية؛ وجدنا أنه لا يشير مطلقا إلى المفهوم السياسي، لكنه يشير إلى مفهومها الديني والأخلاقي، وإن كان الدين قد وضع أسسًا ومباديء كلية، كالعدل، والمساواة، والحرية، والشورى؛ لكي تعتمد عليها المجتمعات في صياغة نظمها السياسية، وهي مبادئ، تحدد نوع السلطة فيها وتحدها؛ بحكم أنها قواعد كلية مطلقة. وعلى سبيل المثال، أهل السنة والجماعة، لديهم مفهومهم الخاص بهم حول الولاية؛ بوصفها سلطة سياسية، وهذه السلطة ليست مطلقة في يد الحاكم، يتصرف فيها كيفما يشاء وقتما يشاء، فهي سلطة تستمد شرعيتها من الرعية، وفق مبدأ الشورى، وكذلك وفق رضا الرعية على الحاكم؛ بما يفيد أن السلطة عقد اجتماعي بين الحاكم والرعية، يتعهد الأول بالحكم بالعدل والالتزام بالمساواة، ويلتزم الطرف الثاني بالطاعة، وعدم الخروج على هذه المبادئ.

إلا أن هذا المفهوم بالنسبة للولاية والسلطة ليس بجديد، فهل يناقش البحث مفهوم الولاية الذي هُلك بحثا، أم يناقش فكرة الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية؟ الحقيقة أن البحث، سوف يركز على الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند كل من الشيعة والصوفية. فالشيعة قد استخدموا البعد السياسي السلطوي لمفهوم الولاية؛ بما يضمن لهم الوصول إلى قمة الهرم السلطوي بأية طريقة كانت، فنجد أنهم قد أوَّلُوا بعض آيات من الذكر الحكيم، وبعض أحاديث سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – ؛ بما يضمن أن أئمتهم هم المنوطون بالسلطة، بعد انتقال الرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم – إلى الرفيق

الأعلى، وهم في سبيل الوصول إلى هذه الغاية؛ قد عانوا معاناة شديدة، وبذلوا الغالي والنفيس؛ بل الأكثر من هذا، قد بذلوا الدماء أيضا، وما أن وصلوا إلى غايتهم المنشودة؛ فلا بد لهم من بعض الدعائم التي تضمن لهم عدم الخروج على أئمتهم والطاعة لهم، وهذا ما سوف نتعرفه في ثنايا البحث.

أما الصوفية، فقد تطور البعد السلطوي لمفهوم الولاية من البعد السياسي ،كما كان عند الشيعة، إلى البعد الروحي، وهذا البعد الروحي، متسق مع دولة الباطن الصوفية، التي لا يُعرف عنها إلا القليل، بالإضافة إلى رعايا الجماعات أو الطرق الصوفية من المريدين، فالسلطة في الهيكل الصوفي الباطني، تتكون من صاحب السلطة القطب، وهو على قمة الهرم السلطوي، ثم تنتهي بالنجباء؛ بوصفهم آخر سلطة في الجماعة؛ بما يفيد أن الصوفية لهم تنظيمهم الخاص بهم، وسلطتهم القائمة عليه؛ بل الأكثر من ذلك، لهم لغتهم الخاصة بهم، والبعد السلطوي لمفهوم الولاية عند الصوفية، يتجلى– بصورة أساسية –في علاقة خاصة؛ بل لا أزعم أن أكون متجاوزا؛ إذا قلت إنها شديدة الخصوصية بين الشيخ (الولي) والمريد أو السالك، وهذه الرابطة الروحية المقدسة، التي تفوق– في بعض الأحيان– رابطة الأب مع ابنه؛ أي أنها علاقة خاصة جدا، والعجيب في هذه الرابطة الروحية؛ أن المريد هو الذي يسعى إليها بكل حب وترحاب؛ بل الأكثر من ذلك؛ أنه على استعداد أن يبذل الغالي والنفيس؛ لتظل هذه الرابطة الروحية المقدسة. ولا شك أن هذه الرابطة، تدعم قواعد الأخلاق والأدب والطاعة؛ بما يؤدي إلى شيوع السلوك الأخلاقي الحميد، كما دعا إليه الإسلام.

إشكالية الدراسة:

إلى أي مدى تأثر الصوفية بالشيعة، خاصة في تصورهم لمفهوم الولاية، الذي هو– بالأساس –مفهومٌ سياسيٌّ دينيٌّ عند الشيعة، لكنهم كصوفية طوروه ليحمل دلالات أخلاقية روحية. وهل نجحوا في ذلك؟

المنهج:

سوف ألتزم في بحثي منهجا تاريخيا؛ لما أحتاجه من الترتيب الزمني لنشأة فرقة الشيعة والصوفية. كما أعتمد على المنهج التحليلي في تحليل قواعد كل فرقة بشكل دقيق؛ حتى يتضح لي بشكل دقيق أبعاد المشكلة البحثية. وأخيرا أعتمد على المنهج المقارن؛ لمقارنة قواعد كل فرقة بالأخرى؛ لأقف على مدى التطور من عدمه، ولن يخلو بحثي من رؤيتي النقدية.

وعلى ذلك، جاء هذا البحث مكونا من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، مشتملة على نتائج البحث:

المبحث الأول: تعريف الولاية والسلطة اللفظ والدلالة الدينية (الأخلاقية) والسياسية والاجتماعية:

وفي هذا المبحث، سوف نعرض تعريف الولاية والسلطة لغة واصطلاحا، ثم نتعرض لمفهوم السلطة عند أهل السنة والجماعة، ثم عند الشيعة، وأخيرا عند الصوفية.

المبحث الثاني: الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة:

وفي هذا المبحث، سوف أتناول الأسس والدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة، وكذلك مظاهرها.

المبحث الثالث: الأسس والدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية:

وفي هذا المبحث، سوف أتناول الأسس والدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية؛ من خلال عرض الهرم السلطوي عند الصوفية، وكذلك علاقة الشيخ بالمريد، ثم نعرض مظاهرها عندهم.

الخاتمة: سوف أدون ما أتوصل إليه من نتائج.

المبحث الأول: تعريف الولاية والسلطة اللفظ والدلالة الدينية (الأخلاقية) والسياسية والاجتماعية

تعدُّ قضية الولاية من القضايا التي تناولها معظم الباحثين بالدراسة ،إلا أن موضوع الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية لم يتناوله أحد من الدارسين (على حد علمي)؛ وبالتالي فإن بيت القصيد في هذه الدراسة؛ هي الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية، وعلى هذا سوف نبدأ بتناول مفهوم الولاية والسلطة ودلالتهما دينيا (أخلاقيا) وسياسيا واجتماعيا.

أولا: تعريف الولاية:

أ- التعريف اللغوي:

أولاً: الولاية في اللغة: الولاية في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي (ولي) يقال: ولي الشيء وولي عليه وَلاية وولاية، والواو واللام والياء: أصل صحيح، يدل على القرب والدنو، الولي لغة :القريب، والمحب، والصديق، والنصير، والمولى والمالك والعبد والمعتِق والمعتَق والصاحب والجار إلخ.[١] والوَلاية بفتح الواو، بمعنى النصرة، والتولي[٢]، ومنه قوله تعالى:"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ...."[٣]، وكذلك في قوله تعالى:"ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ"[٤] وبكسرها: السلطان، والخِطة، والإمارة، والملك، والبلاد التي يتسلط عليها الوالي، أو الفتح للمصدر، والكسر للاسم؛ لأنه اسم لما توليته وقمت به.[٥]

ب- التعريف الاصطلاحي:

يعدُّ موضوع تعريف الولاية من أصعب الموضوعات؛ وذلك لأنه لا يوجد تعريف جامع مانع لها؛ وبالتالي، فقد تعددت التعريفات لها، ومن بين هذه التعريفات:

أن الولاية سلطة، وهذه السلطة لا بد أن تكون سلطة شرعية قانونية، لا تتعارض مع تعاليم العقيدة الإسلامية، أو مع الأعراف والتقاليد الموجودة في المجتمع؛ حتى تجمع حولها الجميع؛ وتكون قابلة للتنفيذ، بالإضافة إلى أن صاحب السلطة؛ لابد أن يكون

---

١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ج٦، ت: عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ، مادة "ولي"، ص ١٤١

٢) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري: الكشف والتبيان، ج٦، ت: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٧٢

٣) سورة البقرة، آية ٢٥٧

٤) سورة محمد، آية ١١

٥) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥، ص ٧٤٠. وأيضا: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، المجلد الخامس عشر، دار صادر، بيروت لبنان، د.ت، مادة "ولي"، ص ٤٠٧ وما بعدها.

متمتعا بالأهلية الكاملة. وعلى ذلك، جاء تعريف الولاية بأنها: سلطة شرعية، تمكن صاحبها من مباشرة العقود، وترتب آثارها عليها، دون توقف على إجازة أحد، أو هي سلطة، تجعل لمن تثبت له القدرة على إنشاء التصرفات والعقود وتنفيذها.(١)

والولي له معنيان: أحدهما فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره، قال تعالى:" إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"(٢)، فلا يكل الله العبد إلى نفسه طرفة عين؛ بل يتولى الله رعايته وحفظه على كل وجه من الوجوه. أما المعنى الثاني، فهو فعيل مبالغة من الفعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي، من غير أن يتخللها عصيان.(٣). ومن هنا جاء قول الإمام الجنيد البغدادي ت: ٢٩٧ هـ :"من حسنت رعايته؛ دامت ولايته."(٤). وأهم صفة لولي الله؛ ألا يكون له خوف من الخلق مطلقا، فالولي لا يعرف الخوف، ولما كان الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل، أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف؛ فلا يمكن أن يتصف الولي بذلك، ويرجع السبب في ذلك؛ إلى أن الولي ابن وقته، كذلك الولي ليس له رجاء؛ وذلك لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل، أو مكروه يكشف، وكل ذلك من الوقت، كذلك الولي لا يحزن؛ لأن الحزن من حزونة الوقت.(٥) فالولي مسلم أمره لله، لا يخاف، ولا يرجو، ولا يحزن كما في قوله تعالى:"**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"(٦).

ثانيا: تعريف السلطة:

أ- التعريف اللغوي:

ترجع كلمة "سلطة" في الأصل؛ إلى فعل (سلط) والسلاطة: القهر، ومن هنا جاء المعنى سلطه الله، فتسلط عليهم، كما في قوله تعالى:".... **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ...**"(٧) والاسم سُلطة بالضم، والسليط أي الشديد وطويل اللسان، ومنها جاء السلطان: الحجة والبرهان؛ لأنه تقام به الحجة، وترد به الحقوق، والسلطان الوالي، وهنا

١) محمد مصطفى شلبي: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود فيه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ص٥١٨
٢) سورة الأعراف، آية ١٩٦
٣) عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ت: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٣٦
٤) شهاب الدين عمر السهروردي: عوارف المعارف، ملحق إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧٨
٥) أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦١، ص ص ٢٢٦، ٢٢٧
٦) سورة يونس، آية ٦٢
٧) سورة النساء، آية ٩٠

رأيان في السلطان: أولا أن يكون سلطانا؛ لتسليطه وهذا معنى سلبي، ثانيا: أن يكون سُمي سلطانا ؛لأنه حجة، والسلطان في لغة الضاد؛ هو الحجة والدليل والبرهان.[١]

ب: التعريف الاصطلاحي والدلالة الدينية (الأخلاقية) والسياسية عند أهل السنة والجماعة:

يمثل أهل السنة والجماعة، المرجعية الوسطية في الفكر الإسلامي، دون إفراط أو تفريط، وقد تناولوا مفهوم السلطة؛ فعرفوها بأنها:" ما هي إلا نيابة عن النبي في حراسة الدين وسياسة الدنيا."، ولم تكن تتضمن سياسة الدنيا في عهد النبي – صل الله عليه وسلم – ولم يأت بها نص قرآني، لكن الدواعي السياسية والصراعات المذهبية؛ جعلت المسلمين– وخاصة أهل السنة– يوسعون مدلولها السياسي؛ لتشمل سياسة الدنيا، إلى جانب حراسة الدين. وبنظرة إلى التعريف؛ نجد أن نائب النبي – صل الله عليه وسلم– هو الإمام أو الخليفة أو الولي، الذي ليس له أية صلاحيات في التشريع أو الإتيان بدين جديد، وذلك بسبب بديهي؛ وهو أن الوحي قد انقطع بوفاة النبي، فما فائدة التشريع، وهو – الخليفة – المنفذ الأول لما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله، أما الأحكام التي تصدر عنه؛ فتصدر وفق سياسته هو، أو منهجه في الحكم والسياسة، ومن الجائز أن يأتي مَن بعده في الحكم بمنهج جديد؛ وفق مقتضيات الزمان والمكان ؛ وعلى ذلك تكون الأحكام اجتهادية، وليست– بأية حال من الأحوال– إلهية.[٢] وإن كان هذا لا ينفي استنادها إلى أصولها الدينية الشرعية.

وما دام الأمر بالنسبة للخليفة أو السلطان اجتهاديًّا وليس إجباريًّا؛ بمعنى أنه لا يسير وفق نصوص مقدسة من القرآن الكريم، أو من السنة النبوية المطهرة؛ فإن الحق سبحانه وتعالى قد عظَّم إرادة الرعية في اختيار من يحكمهم، وجعله حقًّا أصيلًا لهم، وذلك في قوله تعالى:"**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**"[٣] وكذلك جاء الأمر من الله تعالى إلى الرسول الكريم فقال:"**.... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**".[٤]

---

١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط "مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف"، نسخة منقحة وعليها تعليقات أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٧٩١

٢)–محمد نصر مهنا: تجديد الخطاب الديني وإشكالية الخلافة بين السنة والشيعة، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص ص ١٥٧ ، ١٥٨

٣) سورة الشورى، آية رقم ٣٨

٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩

وعلى ذلك ليست السلطة عند أهل السنة والجماعة مطلقة في يد الحاكم، وإنما هي شورى بين الحاكم والرعية، وإذا كان الإسلام، قد شرع أمر الشورى للحاكم وألزمه به؛ فلم يترك الإسلام الحبل على الغارب للرعية، تتلاعب بمصائر الناس وبأنظمة الحكم كما تشاء، وإنما ألزم الرعية السمع والطاعة للحاكم، فيما لا يخالف شرع الله؛ حتى تستقيم الأمور بين الحاكم والرعية، فتستطيع الأمة العمل والتقدم، وقد جاء الأمر الإلهي للرعية في قوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ...**"[١]. وعلى ذلك، تكون السلطة عند أهل السنة والجماعة؛ ذات طابع أخلاقي ومعنوي، "السلطة يجب أن تطاع".[٢] ولا ينفي الأمر بالطاعة ،حرية الإنسان ومسئوليته عن اختياراته؛ فهي أساس العدل والثواب والعقاب.

وقد عبَّر أهل السنة والجماعة عن لفظ السلطة بمرادفات أخرى، "كالإمامة"، و"الولاية"؛ بمعنى الإمام أو الوالي أو الخليفة أو السلطان، وهنا نجد نوعًا من التداخل والتناغم والترابط، بين مفهوم السلطة ومفهوم الولاية، وبناء على ذلك؛ فقد قسَّموا الولاية إلى نوعين: الولاية العامة، وهي بحق التصرف العام في شئون الرعية عامة، رئيس الدولة على سبيل المثال، والولاية الخاصة، وهي الولاية للأفراد بصفتهم الشخصية، ولاية الزوج على الزوجة، أو الأب على الابن.[٣]

يرتبط المدلول السياسي للسلطة؛ بفكرة "الولاية العامة"، التي لها بعض المرادفات العامة أيضا، منها- على سبيل المثال لا الحصر- الخلافة، وهي الرياسة العظمى، والولاية العامة الجامعة المختصة بحراسة الدين والدنيا، والقائم بها يسمى الخليفة؛ لأنه خليفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأيضا الإمامة؛ وذلك لأن الإمامة والخطبة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين تعدُّ لازمة له، لا يقوم بها غيره، إلا بطريق النيابة عنه.[٤] وبالتالي، فقد أطلقت الخلافة- في العرف- على الزعامة العامة، وتم تعريفها على أنها:"الولاية العامة على كافة الأمة، والقيام بأمورها، والنهوض بأعبائها."[٥]

إذن، هناك تداخل وترادف بين مفهوم الولاية والخلافة والإمامة والإمارة ؛بوصفهم جميعا ولاية عامة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأن المدلول السياسي لكل هذه المفاهيم في المصادر الإسلامية بصفة عامة؛ تعني السلطة السياسية الإسلامية، وعلى

١) سورة النساء ، آية رقم ٥٩

٢) أندرو هيوود: النظرية السياسية "مقدمة"، ترجمة لبنى الريدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٢٢٥.

٣) جلال الدين السيوطي: الأشباه و النظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠، ص ١٥٤

٤) محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية"التراتيب الإدارية"، دار الأرقم ، بيروت، مجلد٢، ط٢، د.ت، ص ٧٩

٥) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١، ت: عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص ص ٨ ، ٩.

ذلك تقوم سلطة الخليفة أو الإمام أو الأمير على رعيته على الولاية العامة بصورة كاملة، فمن سلطة الحاكم؛ أن تدين له الرعية بالطاعة والمعونة، في حدود ما يسمح به الشرع، مع الأخذ في الاعتبار؛ أن سلطة الخليفة ليست حقا شخصيا له؛ بل هي سلطة لصالح المسلمين جميعا؛ انطلاقا من مبدأ حرية المسلم في الإسلام.(١) كما ذكرنا سابقا.

وبناء على ما تقدم؛ يمكن تعريف السلطة عند أهل السنة والجماعة ؛على أنها" القوة الطبيعية، أو الحق الشرعي المكتسب من الرعية، في التصرف في أمورها وشئونها؛ بموجب عقد اجتماعي بين الرعية والحاكم، وتأتي قوة هذا العقد؛ من كونه اجتماعيا؛ حيث يقبله جميع أعضاء المجتمع بوصفه شرعيا، ومن ثم يطيعون أوامره، إلا أن غياب الرقابة وتأليه الحاكم، الذي لا يخطئ أبدا، وجميع قراراته سليمة؛ يؤدي إلى إساءة استعمال السلطة؛ ويجعل من الحاكم طاغية أو مستبدًّا، وبالتالي، لا يستمد سلطاته الشرعية من الرعية؛ بل يفرضها عليهم بالقوة.(٢)

إذن، يمكن أن تعدُّ السلطة –عند أهل السنة والجماعة– ظاهرة اجتماعية، لايمكن أن تظل على حالة واحدة على الدوام، فهي شأنها شأن معظم الظواهر الاجتماعية الأخرى، التي من طبيعتها التحول وعدم الثبات. وعلى ذلك؛ فالسلطة ليست منفصلة عما يدور حولها، أو يحيط بها، دون تأثير أو تأثر؛ وبالتالي، فهي الهيئة الاجتماعية، القادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى؛ بحيث تعترف الإرادات الأخرى لها بالقيادة، والفضل بقدرتها وبحقها في ممارسة عملها، دون أن تكون الرعية مجبرة على هذه السلطة، ولها الحق في تغييرها متى شاءت.(٣) ومع تدافع الصراعات السياسية والمذهبية؛ تعددت الفرق والمذاهب، وحاولت كل فرقة؛ أن توظف مفهوم الإمامة، أو الولاية أو الخلافة، توظيفا يخدم مصالحها، ومن هذه الفرق الشيعة والصوفية. فما مفهوم السلطة عندهما؟ وما الدلالات التي تضمنها؟

ثانيا: مفهوم السلطة عند الشيعة وأبعاده السياسية الدينية:

لا شك أن الخلاف السياسي، الذي نشب –على استحياء– بسقيفة بني ساعدة، عقب وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيمن يتولى إمامة المسلمين، وحرص النبي صلى الله عليه وسلم ،على عدم الإشارة إلى ذلك أيضا؛ انطلاقا من اقتناعه بـ" أنتم أي (المسلمون) أعلم بشئون دنياكم"، ثم تتابع الخلفاء بداية من أبي بكر الصديق

١) عبدالرزق أحمد السنهوري: فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٣،ص ص١٤٧، ١٤٨

٢) مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من أبريل، بنغازي، ٢٠٠٧، ص ٧٦

٣) عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢١٥

(ت: ١٣هـ)، ثم الفاروق عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ)، ثم سيدنا عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ)، ثم تزايدت الصراعات القبلية، وأطماع السلطة مع بداية تولي سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين (ت: ٤٠هـ) الخلافة، حتى موقعة الجمل ثم صفين، وانقسام المسلمين إلى شيعة – أتباع سيدنا علي بن أبي طالب – واقتتاعهم بأحقيته في الخلافة ليس فقط بعد سيدنا عثمان، ولكن أيضا قبل سيدنا أبي بكر. وبعد أن قبل سيدنا عليٌّ التحكيم، تم انقسام المسلمين إلى أهل سنة وشيعة، بعد مقتل الإمام علي، ثم مقتل الإمام الحسين بن علي في كربلاء (٦١هـ) مع العلم أن الفتنة مشتعلة من قبل؛ بمقتل سيدنا عثمان بن عفان.

كل ذلك وغيره من الخلافات والصراعات المذهبية والسياسية؛ قد أضفى على مفهوم السلطة، أبعادا دينية سياسية مركبة؛ حتى غدت هي الأساس، الذي فُسرت العقيدة على أساسه، فازداد الأمر صعوبة؛ إذ لا ينفك مفهوم السلطة عند الشيعة عن مفهوم الإمامة، فإذا كانت الإمامة ليست من المصالح العامة ،التي تفوض إلى نظر الأمة، وذلك بناء على تعريف الشيعة للإمامة؛ على أنها:" رياسة عامة في أمور الدين والدنيا، لشخص من الأشخاص المنصوص عليهم نيابة عن النبي". فالأئمة هم الذين اختارهم الحق سبحانه، ونص عليهم في قرآنه وعينهم النبي، وأكد عليهم في بعض أحاديثه –كما يدَّعون – للقيام بحفظ الشريعة من التحريف، وإقامة الحدود وحراسة الدين؛ وبالتالي، يكتسب الإمام سلطة إلهية؛ لأنه– وفق مذهبهم– منصوص عليه من قبل الحق تعالى، ومعيَّن من قبل المصطفى– صلى الله عليه وسلم– وعلى ذلك، فالسلطة في الفكر الشيعي؛ مصدرها الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو من بيده مقاليد السلطة الحقيقية. وبالتالي، فالرعية لابد أن تخضع لحكم الله وسلطته، التي فوضها إلى أحد الأئمة أو الولاة؛ ومن هنا لا يجوز لأحد أن يتولى السلطة؛ إلا أن يكون منصوصا عليه، ومأذونا منه تعالى، وإلا أصبحت سلطته؛ موسومة بالجور والظلم والعدوان.[١] فالإمامة موصولة بالحق، ولم يغلق باب النبوة بوفاة الرسول؛ طالما أنهم يحكمون بتفويض إلهي، وبوحي منه تعالى كما يعتقدون، ومن هذه الحيثية، فالإمامة أو السلطة السياسية قدرٌ سماويٌ وأصلٌ عقديٌّ عندهم.

١) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص ٦٥ وأيضا :عادل فتحي ثابت الحافظ: شرعية السلطة في الإسلام "دراسة مقارنة"، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ١١٨-

وهكذا، إذا كانت سلطة الإمام مستمدة من الله تعالى بصورة مباشرة في حراسة دينه، وإقامة حدوده، وحفظ شريعته؛ فمن باب أولى أن تكون سلطة الإمام من الله تعالى، في تسيير مصالح العباد، وتدبير شئونهم، والحفاظ على أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، ونشر الأمن والأمان والطمأنينة بينهم، فالوظيفة الرئيسية للسلطة –كما بينها ووضحها الغالبية العظمى من فقهاء الشيعة– هي حفظ المصالح الدينية والدنيوية للرعية، التي لابد منها لحفظ الدين.(١)

العلاقة– إذن– وثيقة بين السلطة والولاية عند الشيعة، والولاية عندهم، تنقسم قسمين: القسم الأول، وهو ما يطلقون عليه الولاية الأولى: وهي الولاية الحقيقية والذاتية، وهي خاصة بالذات المقدسة (الذات الإلهية)، أما الولاية الثانية ، فهي الولاية العرضية الجعلية، وهي ولاية ممنوحة من الله تعالى للمصطفين الأخيار، وهم الرسل والأئمة، وهؤلاء هم المختصون بالولاية؛ عن طريق التفويض الإلهي لهم. (٢)

إذن، السلطة عند الشيعة، مستمدة من الولاية الإلهية أو التفويض الإلهي، وعلى ذلك؛ لا يستطيع أحد من الرعية أن يخرج عنها، أو يعترض عليها، أو ينقلب ضدها، تحت أي ظرف من الظروف مهما كان، بما يفيد أن هذه السلطة الإلهية ذات المغزى السياسي، لا تجد حيالها الرعية سوى شيء واحد، ألا وهو السمع والطاعة فقط. هذا– بالطبع– خلاف ما وجدناه عند أهل السنة والجماعة؛ من كون السلطة عقدًا اجتماعيًّا بين الحاكم والرعية، التي يمكن أن تثور عليه؛ لأن السلطة عندهم؛ تقوم على أساس من التعاقد (البيعة)؛ التي تضمن حق الرفض والعزل، وإمكانية المنافسة.(٣)

وإذا كانت السلطة عند الشيعة، مستمدة من النص الإلهي؛ باعتبارها سلطة إلهية؛ حتى إنهم جعلوها أصلا لعقيدتهم – كما ذكرنا سابقا – فإن الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– قد وجه ضربة موجعة إلى هذه الفكرة؛ وذلك بعد أن أعطى للسلطة بعدا اجتماعيا مباشرا؛ ووضح ذلك من قوله للخوارج في موقعة صفين، حين رفع أتباع معاوية ابن أبي سفيان (ت: ٦٠هـ) المصاحف على أسنة الرماح؛ مطالبين بتحكيم كتاب الله بينهم :" كلمة حق يراد بها باطل" ، نعم إنه لا حكم إلا لله. ولكن هؤلاء (الخوارج) يقولون لا إمرة إلا لله. وأنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن،

١) الشريف علي بن الحسين المرتضى: الذخيرة في علم الكلام ، ت:السيد أحمد الحسيني،مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١ هـ، ص ٤١١

٢) محمد آل بحر العلوم: بلغة الفقيه، شرح وتعليق السيد حسين بن محمد آل بحر العلوم، ج٣، ط٧، منشورات مكتبة الصدوق، قم، إيران، ١٩٨٤، ص ٢١١-

٣) محمد بن علي الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٦٥

ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي؛ حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر."[١]

إذن، الإمام علي–رضي الله عنه– يعلن أن السلطة ركن أساسي من أركان التنظيم الاجتماعي في المجتمع ؛حيث أنها الأساس ليس فقط في استقرار المجتمع، ولكن أيضا في استمراره. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل اقتصرت وظيفة السلطة على حماية الدين فقط، أم أن لها وظائف أخرى؟ وتأتي أهمية هذا النص؛ بوصفه الأقدم للإمام علي؛ ليعطي دلالة على أن السلطة تم توظيفها سياسيا، وأن سلطة الإمام مرهونة بوجود المجتمع. وبالتالي، فإن للسلطة دلالة اجتماعية، لا تقل عن دلالتها السياسية والدينية .[٢] فلم يكن التوظيف سياسيا فقط؛ بل إنه تحول إلى ديني باطني؛ عندما اعتقدوا أن الولاية هي الأصل والنبوة فرع؛ وفقا لتأويلاتهم بأن الولاية باطن والنبوة ظاهر.

وإذا كانت السلطة عند الشيعة سلطة بأمر إلهي، فكيف نفسر إشكالية عدم قبولها والتخلي عنها، من قبل بعض أئمتهم المنصوص عليهم، فهذا هو الإمام الحسن بن علي (ت:٥٨هـ) نجد أنه تخلى عن السلطة طواعية، وسلمها إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان؛ حقنا لدماء المسلمين، وذلك في عام الجماعة. كذلك الأمر عندما تسلم الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا (ت: ٢٠٣هـ) ولاية العهد من الخليفة العباسي المأمون (ت: ٢١٨هـ) تسلمها ببعض الشروط ،التي تؤكد أنه قد تخلى عن سلطاته، وذلك بناء على الشروط التي وضعها شرطًا لقبوله، وهي: **أولا:** أنه لا يأمر ولا ينهى ، **ثانيا:** لا يفتي ولا يقضي، **ثالثا:**لا يولي ولا يعزل،**رابعا:**لا يغير شيئا مما هو قائم.[٣] وبالتالي، فقد تخلى كل من الإمام الحسن والإمام الرضا عن السلطة طواعية، والسؤال الذي يفرض نفسه: لماذا خرج الإمامان على السلطة أو المشيئة أو الإرادة الإلهية؛ إذا كانا حقا منصوصًا عليهما من قبل الحق سبحانه؟ هذا السؤال مفاده أن السلطة عند الشيعة ليست إلهية، ولكنها بشرية بالدرجة الأولى، وإلا ما كان تخلى عنها كل من الإمام الحسن والإمام الرضا.

أغلب الظن أن مفهوم الشيعة للسلطة؛ جاء نتيجة لما عانوه وشربوه من كأس الاضطهاد الأموي حتى ثمالته، فها هو يزيد بن معاوية (ت: ٦٤هـ) يأمر رجاله؛

---

١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطبة ٤٠، ت: صبحي الصالح، دار الهجرة، مطبعة بهمن، قم، ط٨، ١٣٢١ هـ، ص ٨٢ . وأيضا:
Yousuf Lalljee: Ali The Magnificent, P:١٩٥. https://downloadshiabooks.com/

٢) رضوان السيد: الجماعة والمجتمع والدولة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٨

٣) الشيخ المفيد: الإرشاد، ج ١-٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٢٥٠

بانتزاع البيعة من الإمام الحسين بن علي، فلما رفض سبط النبي؛ تمت الإطاحة به وبمعظم البيت العلوي في معركة كربلاء، ونتيجة لذلك؛ فقد كفر الشيعة بهذه السلطة البشرية، الممثلة في البيت الأموي، إن كفر الشيعة بالسلطة البشرية الظالمة؛ تبعه قول الشيعة بالسلطة الدينية، والإمامة الدينية، أو السلطة الإلهية، المنصوص عليها من قبل الحق، والمعينة من قبل رسوله الكريم، فهذا– في رأيهم– هو المتسق مع العدل الإلهي، ومع رعاية الخالق للمخلوقين.(١)

وبنظرة فاحصة لتاريخ الشيعة؛ لا بد أن نفرق بين فترتين مهمتين في التاريخ الإسلامي، الفترة الأولى هي عصر الأئمة المنصوص عليهم، والمنتهي بالغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر. والفترة الثانية ما بعد عام ٢٦٠ هـ. فبعد مقتل الإمام الحسين في كربلاء؛ بدأت مرحلة القهر والاضطهاد لهم، ثم جاء عصر الانفراجة؛ حين تملكت السلطة بعض الدويلات ،التي تنتمي إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي والاثنى عشري، فعلى سبيل المثال، نجد الدولة البويهية (٣٣٤ – ٤٤٧) هـ والدولة الحمدانية (٢٩٣ – ٣٩٢) هـ وكذلك الدولة الفاطمية (٢٩٦ –٥٦٧) هـ والدولة الصفوية ١٥٠٢ – ١٧٢٢)م.(٢)

وعلى ذلك، يمكن اعتبار صعود البويهين إلى مقاليد السلطة في بغداد عام ٣٣٤ هـ ومن قبلهم الدولة الفاطمية في المغرب ومصر عام ٢٩٣ هـ؛ هي العلامة البارزة في تاريخ الشيعة بصفة عامة، ويرجع السبب في ذلك؛ إلى أن هذه هي الحالة الأولى التي يصل فيها الشيعة إلى قمة السلطة في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، وذلك بعد عناء سنوات من الظلم والقهر على يد بني أمية في كربلاء، على سبيل المثال، وعلى يد العباسيين؛ حيث اعترض البويهيون على حكمهم (بني العباس) واعتبروهم مغتصبين للسلطة؛ رجوعا إلى المبدأ الثابت للشيعة، الذي ينكر أية سلطة لا تستند إلى إمامة أهل البيت.(٣)

أما وصول الدولة الصفوية – وهي امتداد للمذهب الشيعي – إلى الحكم في إيران، في مطلع القرن السادس عشر (١٥٠١– ١٧٣٦) م فيمكن اعتباره نقطة فارقة أيضا في تاريخ الشيعة؛ لأنه بمثابة بداية التوجه السياسي لفقهاء الشيعة.(٤)، وتأتي أهمية الدولة

١) محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي: دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩١، ص ص ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢) فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط"تاريخهم وفكرهم" ، ت: سيف الدين القصير، دار المدى، دمشق،١٩٩٩ ، ص ١٤ وما بعدها

٣) الحافظ إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٤٠

٤) فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢١١

الصفوية؛ من حيث إنه قد تمكن المحقق الكركي(*)؛ من أمور الدولة ومفاصلها؛ وذلك بعد أن أرسل السلطان طهماسب (١٥١٤ -١٥٧٦)م مرسوما إلى بعض الولايات، قال فيه:" لما ثبت عن الإمام الصادق – يقصد الإمام جعفر الصادق – من أن مخافة حكم المجتهدين، حفظة شرع سيد المرسلين، يساوي الشرك، فإن من يخالف أحكام خاتم المجتهدين، وارث علوم سيد المرسلين، نائب الأئمة المعصومين عليهم السلام، لا زال كاسمه العلي عليا عاليا، وعدم متابعته؛ يعتبر ملعونا بكل تأكيد، ومطرودا من الدولة ومحاسبا ومعاقبا."(١)

وتأتي أهمية النص السابق؛ من أنه قد جعل المحقق الكركي؛ أول فقيه شيعي يمارس السلطة الفعلية في ظل دولة شيعية، لا يكون فيها الإمام المعصوم حاكما، هذا القرار من قبل السلطان طهماسب الصفوي؛ بمثابة صك اعتماد أو إذن مدمغ للفقيه الكركي بتولي السلطة الفعلية، مستندا إلى صفته كنائب للإمام، وهو بذلك – الكركي – قد تعدى الشرعيات فتيا وقضاء وتبليغاً إلى معترك السلطة والسياسة والحكم.(٢)

ومع تولي الكركي مقاليد السلطة الفعلية؛ أصبح هناك متنفس وانفراجة في إشكالية السلطة عند الشيعة، التي ظهرت مع بداية الغيبة الكبرى، وذلك؛ لأن سلطة الإمامة عند الشيعة– في جوهرها– تمثل مشروع الدولة الدينية، إلا أنه مع غياب الإمام؛ فقد استحالت إمكانية قيام هذه الدولة؛ لأن السلطة منصوص عليها من قبل السماء، ومعينة من قبل المصطفى صل الله عليه وسلم، وبدأ عصر جديد؛ هو عصر ولاية الفقيه، الذي هو بمثابة النائب عن الإمام.

ثالثا: مفهوم السلطة عند الصوفية وأبعاده الروحية الدينية:

ناقشنا في الفقرات السابقة مفهوم السلطة عند الشيعة؛ واتضح لنا أنهم قد صبغوها بالصبغة الإلهية؛ إمعانا في تأكيد أحقيتهم، في وراثة النبوة والولاية بعد وفاة النبي، وأحقية آل البيت في وراثة الحكم، وأكدوا ذلك دينيا؛ عندما جعلوا الولاية باطناً والنبوة ظاهرًا. فهل ظل مفهوم الشيعة للسلطة هو هو، أم أن الصوفية، وهم من الجماعات التي أرادت أن تنأى بنفسها، وتهرب بدينها من صراعات السياسة، وتقلبات السلطة، وسفك الدماء، فألقت بنفسها في تراث الهرمسية والغنوصية، التي وفدت مع الفتوحات

(*) هو علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد العال ، المعروف بالمحقق الكركي، والمحقق الثاني أو علي بن عبد العال. ولد في كرك ٨٦٨هـ، وتوفي ٩٤٠هـ. انظر: علي بن الحسين المحقق الكركي: جامع المقاصد في شرح القواعد، ج١، ت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ، إيران، ١٤٠٨هـ،(مقدمة المحقق)، ص ٢٧.

١) علي بن الحسين الكركي: قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج، مؤسسة النشر الإسلامية، قم، د.ت، ص ٢١

(٢) Arjmand, Said A.: Authority and political culture in Shiism, New York, ١٩٨٨, P. ٢٥٠

الإسلامية، فكونت لهم مفاهيمهم وسلوكياتهم الروحية العرفانية التي حاولوا- من خلالها- الابتعاد عن ويلات الصراع السياسي – كما ذكرنا سابقا – وهل يمكن القول إن مفهوم السلطة أخذ عندهم أبعادا جديدة، لم تكن موجودة عند أسلافهم من الشيعة؟ هذا ما سوف نتعرفه في الفقرات التالية.

إن تاريخ التصوف الإسلامي، يشهد على مرحلتين أساسيتين بالنسبة لمفهوم السلطة لدى الصوفية، المرحلة الأولى وهي عهد التصوف الأول، الذي انتفت فيه أية صورة من صور السلطة لدى الصوفية بمفهومه السياسي؛ حيث تمسكوا بمبدأ المقاطعة؛ الذي نتج عن المعارضة الأولى؛ بالاعتراض على حكم معاوية بن أبي سفيان خاصة، ودولة بني أمية عامة، وتمثل هذا الاعتراض؛ في عدم التعاون مع هيئات الدولة الأموية ومؤسساتها المختلفة، ومن مظاهر ذلك؛ أنهم امتنعوا عن تولي مناصب القضاء والإدارة بكل أشكالها المختلفة، وكان ذلك؛ من العقد التي عسرت عليهم العمل الاجتماعي، لتقديم مساعدات مباشرة للفقراء والمساكين؛ لأن الصوفية كانوا لا يملكون مصادر تمويل، تكفي لأداء هذه الخدمات.(١)

وظل فكر الصوفية المعارض، باستثناء بعض المحاولات الفردية ،مثل محاولة الحسين بن منصور الحلاج (ت: ٣٠٩هـ)، الذي أراد أن يثير القوى الصوفية في عصره، ويجعل لها كياناً إيجابيًّا، ويصحح الصورة السلبية الموسوم بها التصوف ورجاله؛ لأنه يرى في القوى الصوفية، حجر الزاوية، أو العمود الفقري، الذي يستطيع – من خلاله- أن يهيمن على السلطة في المجتمع، إلا أن هذه المحاولة من قبل الحلاج قد باءت بالفشل ؛حيث تنبه العباسيون إلى خطورة القوى الصوفية المتنامية، والتي كانت قاب قوسين أو أدنى، من السيطرة على السلطة في عاصمة الخلافة بغداد، وذلك في القرن الثالث الهجري.(٢)

إن شعور السلطة السياسية الحاكمة (دولة بني العباس) بخطر الفكر السلطوي الصوفي، الذي ارتدى ثوب الإسلام السني زيفا، والذي نادى به الحلاج، ولَّد لديها هاجسا أمنيا ،ضد هذه السلطة الصوفية الجديدة، ورسَّخ لديها يقين خطورة الموقف؛ وذلك لأن الحلاج أخذ ينادي بمشروع إصلاحي متكامل؛ فكانت المواجهة الأولى بين سلطة السياسي بدهائه، وفكره، وذكائه، ومادياته، وبين الصوفي بسلوكه، وأخلاقه،

١)علي بن أنجب الساعي البغدادي: أخبار الحلاج، حقق أصوله وعلق عليه موفق فوزي الجبر دار الطليعة، دمشق، ط٢ ،١٩٩٧، ص ص٨، ٩

٢) طه عبد الباقي سرور: الحلاج شهيد التصوف الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٢

وفطرته، وروحانياته، حتى وإن شابها التطرف والشطح، ويمكن القول إنها كانت الصراع الأول من نوعه، بين دولة الظاهر، ويمثلها الوالي، ودولة الباطن ويمثلها الولي، الوالي؛ بوصفه الخليفة الذي يملك كل أجهزة الدولة والسلطة في يده، وهي السلطة الظاهرة، في مقابل الولي؛ بوصفه صاحب السلطة الروحانية المتواصلة دوما مع الله، سلطان الوجود بأكمله.(١)

بعد مرحلة التخلص من الحلاج والتنكيل به ؛ تنبه الصوفية إلى أنهم يملكون دولة باطنية حقيقية؛ لها سلطة فعلية ولها حكومة واقعية، بمعنى أدق؛ أن هناك مجتمعا كاملا للمتصوفة، له جميع صفات المجتمع الموضوعية، وله بنية داخلية، وله بنية خارجية؛ بل والأكثر من ذلك؛ أنه كما للدول الظاهرة لغات خاصة بها، مثل اللغة الفارسية والهندية...إلخ؛ فإن هناك أيضا في المجتمع الصوفي لغته الخاصة به، والتي تميزه عن باقي المجتمعات في دولة الظاهر.(٢) وإن كانت لغة رمزية غير متداولة، لا يعرفها إلا أصحابها.

وما يهمنا هنا ؛هو التنظيم الإداري لشكل السلطة داخل دولة الباطن، أو داخل المجتمع الصوفي الباطني، ومدى إقناع الصوفية لمريديهم بقوة هذه السلطة، والتصوف ظاهرة لها أبعاد واسعة ،تظهر في أوج قوتها؛ في وجود بعض التنظيمات الفعلية والقوية داخل المجتمع الصوفي، سواء كان في الدولة الباطنية أو الدولة الظاهرة، بما يفيد وجود فكر حركي تنظيمي غاية في التداخل وشديد الخصوصية، وهو ما يؤكد اقتناع المتصوفة؛ بوجود سلطة روحية دينية فعلية، مسئولة عنهم مسئولية اجتماعية تامة، هذا – بالطبع – يرشح الصوفية بقوة للمارسة السياسية في دولة الظاهر.(٣)

إن السلطة الصوفية لدى الجماعات الصوفية، قائمة– بالدرجة الأولى– على رابطة من أخص الروابط الإنسانية سموا ورقيا، وهي الرابطة الروحية، التي تربط العضو (المريد) بالعضو الآخر في التنظيم الروحي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تربط المريدين جميعا بمركز السلطة الرئيسي، وهو الولي (الشيخ)، وفي واقع الأمر؛ أن شكل السلطة داخل المجتمع الصوفي، يأخذ أشكالا متدرجة من الأعلى سلطة في التنظيم ،إلى الأقل سلطة، ويرى الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه؛ بفضل تدخل طبقة الأولياء المستورين، الذين لا يعرفهم أحد؛ سوى بعض المجتمع الصوفي، على الرغم من إيمان

١) سامي مكارم: الحلاج في ما وراء المعنى والخط واللون، رياض الريس للكتاب والنشر، لندن، ط١، ١٩٨٩، ص ٦٥ وما بعدها.
٢) عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٦٨
٣)علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ٢٠٠٠، ص ٩٣

كل المجتمع الصوفي بهم، فطبقة الأولياء أو رجال السلطة الروحية عددهم محدود، وكلما قبض واحد؛ خلفه غيره.[١]

إذن، ناقشنا مفهوم السلطة عند أهل السنة والجماعة؛ بوصفها المرجعية الوسطية، التي لا يوجد بها إفراط أو تفريط، وتوصلنا إلى أن السلطة عندهم؛ سلطة بشرية، تتم للخليفة أو الحاكم؛ عن طريق البيعة، ويجب على الرعية السمع والطاعة؛ ما دام الخليفة لا يخالف شرع الله، وأقام العدل والإنصاف بين الرعية، أي أن السلطة– عندهم– بمثابة عقد اجتماعي؛ تتم عن رضا الرعية، ويمكن لهم أن يخرجوا على الخليفة ؛ في حالة الجور والظلم بعد النصح. أما السلطة عند الشيعة، فهي سلطة إلهية للأئمة المنصوص عليهم من قبل الحق سبحانة وتعالى، والمعينون من قبل المصطفى صل الله عليه وسلم، وبالتالي؛ لا يمكن للرعية؛ أن تخرج على الإمام؛ لأنها– في هذه الحالة –تخرج على المشيئة أو الإرادة الإلهية، وعلى ذلك فإن مفهوم الشيعة للسلطة، قائم– في الأساس– على أبعاد سياسية ؛الهدف منها اكتساب أكبر قدر من الدعم والثبات في الحكم لدولة الأئمة. ثم ناقشنا مفهوم السلطة عند الصوفية، وكيف تطور هذا المفهوم من الشيعة إلى الصوفية، ووجدنا كيف أنهم اجتنبوا السلطة فترة من الزمن، وخاصة فترة حكم بني أمية ،التي اتسمت بالعنف واغتصاب الخلافة، ثم خرجوا علينا بدولة الباطن، التي سوف نتناولها بشيء من التفصيل فيما بعد. فما الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة، وما مظاهرها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في المبحث التالي.

١) محمد علي أبو ريان: الحركة الصوفية في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١١٥. وأيضا: لويس ماسينيون، مصطفى عبد الرازق: التصوف، لجنة ترجمة دائرة المعارف: إبراهيم خورشيد – عبدالحميد يونس – حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ص ٤٥ ، ٤٦

المبحث الثاني: الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عد الشيعة:

تتمثل الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة في البعد السياسي، فلا ينفك الدين عن السياسة عند الشيعة بأية حال من الأحوال؛ وذلك لأنهم طوَّعوا مفهوم الولاية؛ لتحقيق أكبر قدر من المصلحة من الناحية السياسية، وقد تمثل ذلك؛ فيما نسجوه حول الأئمة من قدسية. فما الأسس والدعائم التي ساعدتهم على ترسيخ سلطتهم في نفوس الرعية باسم الولاية؟

١-الأسس والدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة:

أولا: النص :

يرى الشيعة الإمامية والإسماعيلية؛ أن الله سبحانه، قد نص- في كتابه الكريم - على أن يكون الإمام علي بن أبي طالب؛ هو الإمام الذي تؤول إليه السلطة، بعد انتقال المصطفى صل الله عليه وسلم إلى جوار ربه، ثم ولده من بعده؛ ليكتمل الأئمة الاثناعشر، ويتفق الشيعة الإمامية مع الإسماعيلية ؛على ترتيب الأئمة، حتى وفاة الإمام جعفر الصادق؛ حيث ادعى بعض الشيعة؛ انتقال الإمامة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، بدلا من الإمام السابع للشيعة الاثنى عشرية موسى بن جعفر الصادق عام ١٤٨هـ .[١]

ومهما كان الأمر بين الشيعة الإمامية والإسماعيلية؛ فإن الأئمة أولهم الإمام علي، وآخرهم المهدي المنتظر، والإمام عندهم؛ لابد أن يجمع بين السلطة الدينية، التي يجب أن تكون في الإمام علي وأهل بيته؛ بحيث يكون تأكيدهم السلطة الروحية أولا، في النبي، وعدم انقطاعها أو حجبها بوفاته، ثم يأتي بعد ذلك السلطة السياسية، التي يطمح إليها الشيعة بصورة مستمرة ومتواصلة، وبذلوا فيها بحورا من الدماء، على مر تاريخهم السياسي.[٢]

ومن وجهة نظر الشيعة ؛ أنه قد جاءت بعض النصوص؛ لتثبت أن سلطة الإمام، منصوص عليها صراحة في القرآن الكريم، وهي بذلك منصب إلهي؛ يكون بعد انتقال المصطفى إلى الرفيق الأعلى، وكل ما على النبي؛ هو أن يقوم بدور المبلغ إلى جميع المسلمين بهذا الأمر الإلهي المقدس.[٣] وذلك بعد نزول الآية الكريمة:" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ

١) علي بن محمد بن عبد الله الفخري: تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، ت: رشيد البندر، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٤، ص ١٤٤ وما بعدها

٢) يحيى هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢، ص ٨٥. وأيضا: برنابي روجرسون: ورثة محمد صلى الله عليه وسلم"جذور الخلاف السني الشيعي"، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تعليق: عبد المعطي بيومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٥، ص ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

٣) علي الميلاني: الإمامة في أهم الكتب الكلامية، منشورات الشريف الرضي، قم، ط١، ١٤١٣، ص ٤٤

اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ".[١] ومن خلال هذا التبليغ المأمور به في الآية الكريمة؛ جاءت تفسيرات الشيعة لبعض الآيات القرآنية الخاصة:

أ) يرى الشيعة أنه لما فرغ النبي من حجة الوداع، وهو في طريقه إلى المدينة يوم غدير خم؛ دعا النبي إلى إمامة الإمام علي في الصلاة، ثم نزل عليه قول الحق سبحانه وتعالى:"...**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**...".[٢] فهلَّل وكبَّر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقال: الله أكبر على إكمال الدين وتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وبالولاية لعلي بعدي."[٣] وهذا إقرار من الله سبحانه وتعالى لدى الشيعة؛ بأن الله قد نص نصا صريحا بأن تمام الإسلام بالنسبة للمسلمين؛ هو أن يتولى الإمام عليٌّ مقاليد السلطة، بعد انتقال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ب–جاء في قوله تعالى:" **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**" .[٤] ويسأل الشيعة سؤالا جوهريا عن المقصود بقوله تعالى "وليكم" في الآية الكريمة، وترد الشيعة بأن المقصود بـ "وليكم": هو من كان متحققا بتدبيركم، وقيِّما عليكم، ومنوطا بقضاء حوائجكم، وطلباتكم، وتزيد الشيعة؛ بأنه المسئول بعد انتقال المصطفى، وهو المنوط بالسلطة، وهو المسئول الأول بعد النبي بقضاء مصالح المسلمين، ويرجع إليه الولاية العامة، والوصاية على جميع شئون المسلمين كافة، والشخص المقود بهذا اللفظ الإلهي المقدس؛ هو بلا شك –وفق تأويل الشيعة– الإمام علي بن أبي طالب، وبالتالي فإن هذا التأويل ؛يدل دلالة قاطعة على أحقيته – كرم الله وجهه – في السلطة.[٥]

وعلى تأويل الآية الكريمة بالنسبة للشيعة؛ فقد جعل سيدنا رسول الله للإمام علي– كرم الله وجهه– من الولاء في أعناق الأمة، مثل ما جعله الله عليهم، يوم أن أخذ منهم إقرارهم، وهم في عالم الذر "ألست بربكم" قالوا "بلى"، هذا وينفرد الشيعة بتأويل الولاية هنا بمعنى السلطة السياسة؛ الأمر الذي يوجب أن يكون الإمام علي أولى بهم من أنفسهم، ولا يكون أولى بهم، إلا وطاعته فرض عليهم، وأوامره ونواهية نافذة فيهم، وهذه رتبة الإمام في الأنام.[٦]

---

١) سورة المائدة، الآية رقم ٦٧

٢) سورة المائدة ، الآية رقم ٣

٣) يحيى هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ص ٨٥

٤) سورة المائدة، الآية رقم ٥٥

٥) أبو جعفر الطوسي: تلخيص الشافي، ت: السيد حسين بحر العلوم، ج١، النجف الأشرف، بغداد، ١٣٨٣هـ، ص ١٠ وما بعدها

٦) أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي: دليل النص بخبرالغديرعلى إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، ت:علاء آل جعفر، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٩٩٨، ص ص ٣٨ ،٣٩ .

ج-في قوله تعالى:" **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**".[١] يرى الشيعة أنه عندما نزلت هذه الآية الكريمة التي تعرف بآية المباهلة؛ جمع النبي أصحاب العباءة من آل بيته، وهم خاصة الخاصة لسيدنا رسول الله وهم السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي، وسيدنا الإمام علي زوجها، وولديهما الحسن بن علي والحسين بن علي، فهل أحد ينكر أن هؤلاء هم أصحاب الفضل من آل بيت النبي، وقد تباهى بهم سيد الخلق أجمعين، وعلى ذلك فقد اعتمد الشيعة على هذا الموقف؛ لتأكيد أحقية الإمام علي وولده في الحكم والسلطة.[٢]

د)في قوله تعالى:" **وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ**".[٣] ووفق تأويل الشيعة لهذه الآية الكريمة؛ فالمقصود بصالح المؤمنين ومصلحتهم؛ هو تولي الإمام علي للسلطة، وقد جعله الحق من فوق سبع سموات مولى لسيدنا رسول الله صل الله عليه وسلم، وفي هذا؛ دليل على أن له السلطة الدينية والسياسية، وعلى ذلك أوّل الشيعة بعض الآيات القرآنية؛ بما يتفق مع أطماعهم السياسية؛ وبالتالي فمن يستطيع أن يخرج على هذه السلطة المنصوص عليها من قبل الحق سبحانه وتعالى في كتابه المقدس، وإنما سوف يحدث العكس تماما؛ فسوف يتسابق الرعية على نيل شرف خدمة الإمام ،وعدم الخروج عليه؛ لأنه المنصوص عليه صراحة من قبل الحق سبحانه وتعالى.

وعلى ذلك، ذهبت الشيعة إلى أن السلطة الشرعية الوحيدة والرئيسية للإسلام والمسلمين، بصفة عامة على صعيد وجهة النظر الدينية أو الدنيوية؛ هي سلطة الإمام، الذي خوله الله هذه السلطة، من فوق سبع سموات عن طريق نص صريح في القرآن الكريم، ومن هذه الحيثية، ففي اعتقادهم؛ أن الإمام، لا يتبوأ الإمامة ،ولا يتقلد مقاليد السلطة، عن طريق الاختيار أو الانتخاب أو الشورى بين عامة المسلمين، فهل من المنطقي أن يحتاج الإمام إلى رضا الرعية، بعد أن نصبه الحق سبحانه السلطة[٤] كما يدَّعُون؟!

---

١) سورة آل عمران، الآية رقم ٦١.

٢) الشريف المرتضى: الشافي في الإمامة، ت: السيد عبد الزهراء الحسيني الطيب، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران،١٩٨٧، ص ٢٥٤

٣) سورة التحريم، الآية رقم ٤

٤) إيجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام"تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي"، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤، ص ١٩٥.

ثانيا: التعيين :

التعيين يعني عند الشيعة؛ أن الإمام عليا قد تم تعيينه من قبل المصطفى صل الله عليه وسلم؛ ليتولى أمور المسلمين الدينية والسياسية بعد رحيله، ولكي يؤكدوا ذلك؛ قدَّم لنا الشيعة بعض الدلائل التي تثبت ذلك:

أ) ففي حجة الوداع التي انتقل المصطفى بعدها إلى الرفيق الأعلى، وهو في طريقه إلى المدينة المنورة، وعندما وصل إلى غدير خم، نادى في المسلمين الصلاة جامعة، فلما أتى المسلمون إلى تلبية النداء وإقامة الصلاة؛ أخذ المصطفى بيد الإمام علي بن أبي طالب وقال: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.(١)

ونأتي إلى أهم كلمة في الحديث الشريف، وهي المولى، والمراد بها هنا: الأولى بالتصرف في شئون الخلافة والحكم والسلطة الخاصة بالمسلمين والمسلمات؛ وذلك لأن هذا ما يهدف إليه أول الحديث، ألست أولى منكم بأنفسكم، أي ألست أولى بالتصرف في شئونكم من أنفسكم، ويرى الشيعة؛ أن سيدنا رسول الله قد أعطى للإمام عليٍّ في يوم غدير خم حقيقة الولاية، وكشف به؛ عن مماثلته في فرض الطاعة، وكذلك جعل له ولأبنائه من بعده ،الأمر، والنهي، والتدبير، والسياسة، والرياسة، وبالتالي، حَكَمَ الرسول الكريم لسيدنا عليٍّ، بالفضل على الجماعة، وأعطاه منزلة لم يعطها لأحد من أصحابه ؛ وذلك عندما قال له:"يا عليُّ أما ترضى مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي"، وهذا تشريف وتعيين صريح على خلافة سيدنا علي لسيدنا رسول الله، كما خلف سيدنا هارون سيدنا موسى في قومه؛ وبالتالي فإن لسيدنا عليٍّ الفضل على الجماعة، والنصرة ،والوزارة، والخلافة، والسلطة في حياته، ومن بعده لأبنائه. (٢)

ب)هناك حديث شريف قد عوَّل عليه الشيعة، ويرون أن الأئمة بعد الرسول صل الله عليه وسلم اثنا عشر إماما، كلهم من ذرية الإمام علي كرم الله وجهه، وهو الإمام الأول عندهم، ويحتجون بهذا الحديث، ويرون أن السلطة؛ لا بد أن تكون في الإمام علي وأبنائه، أو كما قال في الحديث الصحيح، عن جابر بن سمرة عن سيدنا رسول الله قال:"

---

١) الحافظ أبو الحسن علي بن محمد الواسطي المعروف بابن المغازلي: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣، ص٤٦.

٢) الشيخ المفيد:الإفصاح في الإمامة،ت:قسم الدراسات الإسلامية،مؤسسة البعثة، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد،مطبعة مهر،ط١٤١٣،٢،ص٣٣.

الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا عليُّ، وآخرهم القائم، الذي يفتح الله عز وجل على يديه، مشارف الأرض ومغاربها"[١].

ترى الشيعة ؛أن تعيين الإمام قد تم من قبل المصطفى صل الله عليه وسلم؛ وبالتالي، فإن السلطة التي يتولاها الإمام، سلطة منصوص عليها من قبل الحق، ومعينة من قبل النبي؛ وبالتالي فمن ذا الذي لا يهادن هذه السلطة، ويحاول جاهدا التقرب إليها، وتنفيذ أوامرها، والبعد عن نواهيها، مهما كانت، وعلى أية صورة من الصور، وعلى ذلك؛ فإن اختيار صاحب السلطة عند الشيعة، مسألة تخص الحق سبحانه ورسوله؛ وذلك لاعتقاد الشيعة، قصور وتناهي العقول البشرية عن الوصول للاختيار النموذجي، وفي الوقت نفسه، تعجز عن الوصول إلى التأويل الباطني للقرآن الكريم.[٢].

والمؤكد أن اعتماد الشيعة على تأويل نصوص القرآن والسنة لمفهوم الولاية والسلطة؛ قد أعطى لمدلولها السياسي بعدا دينيا وقدسية سماوية؛ مما جذب العديد من المسلمين، الذين كانت عاطفتهم الدينية مؤججة ؛جراء الأحداث السياسية الدامية، ومقتل العديد من آل بيت رسول الله – صل الله عليه وسلم – كعليٍّ بن أبي طالب، ثم الحسين بن علي في كربلاء، وغيرهما من آل البيت. ويكاد يجمع المؤرخون؛ على أن التشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه من بعده، لم يتجاوز مستوى الولاء السياسي، ويكتسب أبعادا دينية، إلا في عصر الإمام السادس جعفر الصادق المتوفى ١٤٨ هـ، وقد نجح الشيعة في جعل سلطة الإمام وتعيينه؛ أمرا في غاية الخطورة؛ فهي قضية أصولية بالنسبة لهم، وهو ركن من أركان الدين، لا يجوز تفويضه إلى العامة، يتلاعبون بمصير الأمة كيفما شاءوا، ومن هذه النقطة بالذات، فالشيعة –بالإجماع إلا الزيدية[*]– مجمعون على القول بوجوب النص، والتعيين من قبل الحق سبحانه، ومن قبل سيدنا الرسول، إلى الإمام علي وأبنائه من بعده.[٣]

ثالثا: العصمة:

العصمة من الدعائم الأساسية، التي وضعتها الشيعة شرطًا لسلطة الإمام، ويعرفها الشيعة بأنها:" قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ؛ بحيث لا يترك واجباً ولا يفعل محرمًا، مع قدرته على الترك والفعل ..." ، ومن خلال التعريف يرى الشيعة ؛

---

١)أبو داود: السنن ، كتاب المهدي ، مجلد٣ ، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة الجديدة ، ١٩٩٨، ص ١٩ ، رقم ٤٢٧٩. وانظر أيضا: محمد علي بن بابويه القمي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ج١ ، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ، إيران ، ١٤٠٥ هـ ، ص٢٨٢

٢)محمد باقر الصدر: بحوث حول الولاية، مكتبة النجاح، طهران، ١٤٠٥هـ، ص ٢٨٢

*) فرقة من فرق الشيعة من أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، وهم أقرب الشيعة إلى أهل السنة. أنظر: عبدالمنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص ٢٣٦ .

٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ١٤٥

أن المعصوم هو الإمام الذي وصل من الإخلاص والقرب من الله سبحانه، الحد الذي لا تستطيع الأغيار (النفس والهوى والشيطان) أن يقهروه أو ينتصروا عليه، فهو المعصوم من جهة الحق سبحانه، وعصمة الإمام هذه؛ هي التي تقف حائلا أمام انجراف الأمة في الوقوع في المعاصي والآثام.(١)

ويرى الشيعة، أن الأئمة المعصومين؛ قد نص الله على عصمتهم صراحة في القرآن العظيم، واستندوا في ذلك؛ إلى قوله تعالى:" وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا."(٢) ويؤول الشيعة الآية الكريمة؛ بضرورة أن يكون الإمام معصوما من الله سبحانه؛ حتى لا يمكن له أن يأمر بمعصية، فكيف يكون الإمام من اختيار الله سبحانه، وتعيين الرسول الكريم ويقع في معصية؟ فالإمام عند الشيعة معصوم؛ حتى لا تقع الشيعة في حرج التناقض ،بين طاعته في ذلك، وعصيان الله أو معصيته، وهو الذي يأمر بطاعته .(٣)

ويرجع الشيعة فساد الحياة السياسية، من انحرافات للحاكم، وممارسات للقهر، والاستبداد، والاضطهاد، والظلم والبعد عن تعاليم الإسلام الحنيف، وكذلك البعد عن إقامة العدل، والمساواة، وإنصاف المظلوم، بالإضافة إلى عدم وجود إمام معصوم، من قبل الحق سبحانه على رأس الهرم السلطوي، وبالتالي فإن عصمة الإمام؛ سوف تكون حائط الصد الأول بين الإمام وبين الفساد في عالم الحكم، والسياسة، والسلطة، وكذلك هي الضامن الأساسي؛ لتحقيق العدل، والإنصاف، والمساواة بين الرعية.(٤)

أوجبت الشيعة العصمة للأئمة؛ وذلك لأنهم كالأنبياء، في وجوب عصمتهم من جميع الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وجميع القبائح والشرور والآثام، وهذه العصمة ليست موجودة لدى الإمام في سن معين، أو مكان معين، أو بعد الأداء لعبادة معينة، ولكنها موجودة من سن البلوغ أو التكليف، وحتى انتقال الإمام إلى الرفيق الأعلى، وكذلك هي موجودة، سواء كانت الأعمال، تؤدى عن قصد وعمد، أو أنها تقع سهوا ؛ وذلك لأنهم حفظة الشرع والقوامون به.(٥)

---

١) أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٤٥٢

٢) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٣

٣) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ٥٩.

٤) حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، ط٤، ١٩٨١، ص ٤٩٦

٥) الشيخ المفيد: الإفصاح في الإمامة، ص ٤٠

كذلك تعلل الشيعة عصمة الأئمة؛ بناء على أن حياتهم مع القرآن العظيم، حفظا، وتلاوة، ودراسة مستمرة، حتى الموت، والقرآن الكريم، هو الحافظ لهم من الوقوع في الصغائر أو الكبائر، وهو حائط الصد ضد السهو أو النسيان، وذلك ؛ لأنهم في حالة وقوع السهو أو العصيان؛ فإنهم يكونون مفارقين لكتاب الله، أو يجعلونه وراء ظهورهم، ولما كان الأئمة يضعون الكتاب في قلوبهم؛ فإنهم لا يفارقونه مطلقا، ومن هذه الحيثية؛ فهو موجب لعصمتهم من الآثام، ومانع من تعلق السهو بهم أو النسيان، إذ لو وقع منهم عصيان أو سهو في الأحكام؛ لفارقوا به القرآن، فيما ضمنه البرهان.(١)

الإمام إذن- عند الشيعة- هو المرجعية الأساسية، التي يلتمس عندها، إقامة الحق، والعدل، والإنصاف للرعية؛ وذلك لأنه الواسطة الحقيقية أو الفعلية بين الله سبحانه وتعالى من جهة، وبين الرعية من جهة ثانية، وعلى أساس من العقل والمنطق؛ فإن هذه الواسطة التي تربط عالم السماء بعالم الأرض، أو عالم الملكوت بعالم الملك؛ لابد أن تكون معصومة من الوقوع في الخطأ، مهما كانت الأشكال التي توجد خلالها، سواء كانت على شكل نبي أو إمام.(٢)

أما الهدف الأساسي من وجود العصمة لدى الأئمة- على وجه الخصوص- فهو استقامة الحياة في المجتمع الإسلامي؛ وذلك لأن العصمة هي الضامن الأساسي؛ من ألَّا يقع الإمام – صاحب السلطة – في خطأ أو سهو أو معصية، وما دمنا قد ضمنا صلاح الإمام؛ فبالتالي سوف نضمن استقامة الحياة في المجتمع؛ لأنه إذا صلحت الرأس؛ صلح بالتبعية الجسد، وبالتالي كلما كان الإمام معصوما؛ كانت حياة الناس مستقيمة ومتزنة، وعلى ذلك فالشيعة يرون أن عصمة الأئمة، دليل دامغ على لطف الحق سبحانه ورحمته بعباده.(٣)

وإذا كان ذلك رأي الشيعة في العصمة، فإن الشيعة الزيدية، يرفضون شرطي الوصية والعصمة في الإمام، فالإمام زيد لا يرى أن الإمام مرجع في الدين؛ بل إن المصلحة هي التي تنصبه، ومن هذه الحيثية؛ فالإمام مثل أي إنسان آخر في الكون؛ يضحك، ويبكي، ويفرح، ويحزن، ويمرض، ويشفى؛ وبالتبعية فهو في شئون الحكم والسياسة؛ يصيب ويخطأ؛ ومن هنا جاء رفض الشيعة الزيدية لفكرة أن الإمام معصوم من الوقوع في الخطأ.(٤)

---

١) الشيخ المفيد: المسائل الجارودية، ت: محمد كاظم مدير شانجي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد،مطبعة مهر، قم،ط١ ،١٤١٣هـ، ص٤٢

٢) علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦، ص ١٦٦

٣) جمال الدين أبو منصور بن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة،ج١، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة دارالعروبة، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٧٨ وما بعدها. .

٤) مصطفى صبحي مراد: نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٢٠

وعلى ذلك، نجد تقاربًا بين موقف الشيعة الزيدية وموقف أهل السنة والجماعة؛ من أن الحاكم مهما كان إماما أو خليفة، لابد أن يصيب ويخطئ كأي إنسان في الوجود، أما الشيعة عندما يدعون العصمة لأئمتهم؛ فإن ذلك يكون من الدعائم السلطوية لمفهوم الولاية، فالرعية عندما تتعامل مع إمام معصوم؛ سوف تكون سلطته عليهم سلطة مطلقة، إلا أنني أرى أن الهدف من وراء جعل الحاكم معصوما؛ هو هدف سياسي في المقام الأول، وهو عدم الخروج على الإمام؛ لكونه مؤيدا من قبل الحق سبحانه ومعصوما أيضا، وبالتالي تكون استحالة الخروج عليه بأي حال من الأحوال؛ ومن هنا أصبحت سلطة الإمام سلطة مطلقة؛ ما دام كان منصوصا عليه من قبل الحق سبحانه، ومعينا من قبل النبي، ومن لم يؤمن بها أو يلتزم بأقوال الإمام وسلطانه ؛ فقد جحد بما أوجبه الله تعالى ورسوله الكريم، وتصل عقوبة من يجحد سلطة الإمام؛ إلى حد الخروج من الملة، ويوصم بالكفر والزندقة؛ بل الأكثر من ذلك ؛ فهو مخلد في نار السعير جزاء ؛ لإنكاره أصلًا من أصول الإسلام عند الشيعة.(١)

رابعا: العلم:

العلم من أهم دعائم البعد السياسي لمفهوم الولاية عند الشيعة، فكل إمام عندهم ؛لابد وأن يكون وليا، وما دام أنه قد وصل إلى درجة الولاية؛ فلابد أن يكون عالما، فلا تنفك الولاية عن العلم بأي حال من الأحوال، ويستدل الشيعة على علم الإمام عليٍّ ليس فقط بين الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن أيضا بين جميع أهل زمانه، وهم في ذلك؛ يشيرون إلى اعتراف جميع الصحابة بأعلمية الإمام علي عليهم جميعا، وما دام الأمر كذلك؛ وجب أن يكون الإمام علي هو صاحب السلطة، بعد انتقال المصطفى إلى الرفيق الأعلى. (٢)

ويذكر الشيعة أهم حديث عندهم، وهو قول سيدنا رسول الله:"أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِ من الباب." وبغض النظر عن مدى صدق الحديث من عدمه، فالفكر الشيعي، يرى أن الحديث صحيح وأنه لا يصح لأي طالب علم أن يدخل مدينة العلم؛ إلا من خلال سيدنا علي.(٣)

وفي التراث الشيعي أن الجفر الأبيض، الحاوي للعلم الرباني، قد انتقل من الإمام علي، إلى باقي الأئمة من ذرية الإمام الحسين بن علي، وهذا إشارة إلى أن العلم اللدني،

١) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ص ١٠٣

٢) حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ص٤٩٦

٣) الحافظ أبو الحسن علي بن محمد الواسطي المعروف بابن المغازلي: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ص ١٣٥، ١٣٦

ينتقل من إمام إلى إمام من أئمة الشيعة، ويعتقد الشيعة أن علم الإمام؛ يكون إلهاما ربانيا، فهو إذا أراد أن يعلم الشيء؛ أعلمه الله بذلك بصورة مباشرة.[١] أي أن العلم، ينتقل إليه وحيا، كما يدَّعون.

ويعدُّ الجفر الأبيض، أحد مكونات علم الجفر عند الشيعة، ولقد سمي بهذا الاسم؛ لأنه قد كتب على جلد الشاة، ويتكون هذا العلم من ثلاثة أقسام:

١-الجامعة: وهو كتاب دُوِّن فيه تفصيل أحكام الحلال والحرام.

٢-صحيفة الفرائض: وتحتوي على سجل ما كتبه الإمام علي عن الفرائض.

٣-كتاب الجفر: وهو يشمل جميع تراث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو على قسمين: الأول: الجفر الأبيض وهو وعاء، يحتوي على علوم الأنبياء والأوصياء. أما الثاني فهو الجفر الأحمر، وهو يحتوي على علم الحوادث الدامية والآتية.[٢]

فلك أن تتخيل شعور العامة، تجاه من كان عالما بعلم الجفر، لا سيما أن يكون الإمام عليا كرم الله وجهه وأبناءه من الأئمة المتوارثين لهذا العلم.

وإذا كانت الوظيفة الأساسية للإمام، تتمثل في حراسة الدين، وتفسير الشريعة، وحمايتها من التزييف، أو التحريف، إضافة إلى هداية الناس إلى طريق الحق[٣]؛ فالسؤال الذي يطرح نفسه :كيف يقوم الإمام بكل هذه الوظائف شديدة الحساسية والخطورة، التي تتطلب أن يكون الإمام على درجة عالية من العلم؟ فهذه الوظيفة تحتاج إلى أن يكون الإمام على درجة كبيرة من العلم اللدني قبل العلم الظاهر، فلا يوجد أحد على ظهر الأرض، يستطيع أن يكون لديه القدرة، على أن يحوز كل هذه العلوم في آن واحد؛ بل في عمر وزمن واحد، فمثل هذا العلم؛ يحتاج من الإنسان أعمارًا على عمره؛ حتى يصل إلى بعض منه، إلا أن الأطماع السياسية تجعل كل شيء مباحًا، طالما كانت سلطة الإمام سلطة إلهية؛ بوصفه الولي المنصوص عليه من قبل السماء، والمعين من قبل المصطفى، والمعصوم وكذلك العالم بكل كبيرة وصغيرة في الكون، متى أراد أن يعلم. فالذين وصلوا إلى مقام الولاية الحقة، وأصبحوا مظهرا لاسم الولي كالأنبياء والأئمة؛ هم الذين يحق لهم أن يكونوا حكاما ومدبرين.[٤]

---

١) الكليني: أصول الكافي، ج١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ، ص ٢٥٧

٢) محمود إسماعيل: فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٩

٣) محمد باقر الحكيم: الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق، المنار للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٤٩

٤) فرح موسى: رسالة في الولاية السياسية"مقاربات نظرية بين الفقه والفلسفة"، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٠، ص٢٢

٢- المظاهر السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة:

إذا كان الولي هو العالم، وهو المعصوم، وهو المعيَّن من قبل المصطفى، والمنصوص عليه من قبل الحق سبحانه؛ فقد وجبت إماماته، وأصبحت سلطته لا يضاهيها سلطة على وجه البسيطة، وقد ترتب على الدعائم السابقة؛ عدة مظاهر؛ أكدت الجانب السلطوي لمفهوم الولاية عندهم؛ منها:

أ-عدم الخروج على الإمام:

استطاعت الشيعة أن تنجح في تكوين مفهوم إلهي أو صورة إلهية للإمام، الهدف منها سياسي في المقام الأول، ويتمثل الهدف المنشود؛ في أنه لا أحد يستطيع أن يخرج على سلطة الإمام ؛ فهو المنصوص عليه في القرآن الكريم، والمعين من قبل سيد المرسلين، وبالتالي فالخروج على سلطة هذا الإمام؛ معناه الخروج على الإرادة الإلهية؛ بل الأكثر من ذلك، أنه في حالة عدم وجود إمام في الأرض، هذا معناه عند الشيعة ؛ أن الله قد سخط على عباده؛ وبالتالي فإن سلطة الإمام واجبة؛ ولا يمكن الخروج عليها.[١]

إن مثل هذه السلطة الإلهية للإمام؛ تولِّد نوعا من الخنوع والاستسلام واللامبالاة تجاه سلطة الإمام، طالما كان هذا الإمام من الأئمة المنصوص عليهم، والمعينين وفق عقيدة الشيعة، وبالتالي؛ استحال الخروج عليه تحت أي ظرف من الظروف، وأي شكل من الأشكال. أما في حالة أن يكون صاحب السلطة من غير الأئمة المنصوص عليهم والمعينين؛ فقد وجب الكفاح والنضال بكل أشكاله، سواء في السر أو في العلن، ولن تتوقف الثورة ضد صاحب السلطة، الذي اغتصب حقًّا ليس حقه ؛حتى يعيد الأمر إلى نصابه الصحيح، وهو تولي أحد أئمتهم، وهم في سبيل تبرير اعتقادهم؛ يحتجون بقول الإمام زيد بن علي بن الحسين (ت:١٢٢هـ) الذي يرى أن الإمام – وهو خارج السلطة – لا بد أن يكافح ويناضل؛ من أجل الوصول إلى هدفه وهو السلطة، ويجيز له الإمام زيد؛ أن يشهر السيف ويسفك الدماء في سبيل ذلك، أو على حد تعبيره ذاته:"إنما الإمام مَن أَشْهَرَ سيفه."[٢]

هذا الاعتقاد– لدى الشيعة– يولِّد نوعا من الجبرية لدى الرعية؛ في حالة أن يكون صاحب السلطة؛ هو أحد أئمتهم المنصوص عليهم، وبالتالي لا خروج على الإمام؛ لأنه قد تم النص عليه من الله؛ وعلى ذلك فهو قد وصل إلى هذه السلطة بقضاء الله وقدره، وواجب على الرعية؛ أن تؤمن بقضاء الله وقدره، ولا تخرج على سلطة الإمام. أما في

١)عبدالله جنوف: عقائد الشيعة الاثنى عشرية وأثر الجدل في نشأتها وتطورها حتى القرن السابع من الهجرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ١٨ .
٢) نيفين عبدالخالق: المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، الرياض، ط١، ١٩٨٥، ص ص ٢٨٨ ، ٢٨٩

حالة أن يكون صاحب السلطة، ليس من الأئمة المنصوص عليهم وفق عقيدة الشيعة؛ فالحرية كل الحرية للرعية؛ ووجب عليهم الثورة، والانقلاب، وإراقة الدماء؛ للوصول إلى هدفهم السياسي والأساسي؛ وهو الاستحواذ على السلطة، وتاريخ الشيعة، حافل بالكثير والكثير من إراقة الدماء والثورات المسلحة.[١]

ب-الطاعة[*]:

تعدُّ الطاعة من أهم المظاهر السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة، وقد تم توظيفها توظيفا سياسيا، وعلى ذلك؛ نجد أن الشيعة قد أوَّلوا أقوالا منسوبة إلى الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ت: ١١٤هـ) عن سيدنا رسول الله؛ حيث يرفع النبي كل طائع للإمام إلى الدرجة العلية درجة الولاية، التي يطمح في الوصول إليها القاصي والداني، من أبناء الإسلام على اختلاف مذاهبهم، وقد قرن النبي الكريم الطاعة للإمام والنصيحة له؛ بمعية آل بيت النبي بصفة عامة، وبمعية النبي الكريم في الجنة على وجه الخصوص، وهذه بشرى عظيمة لكل مسلم، أو على حد تعبير الإمام الباقر، في الحديث الذي رواه عن النبي:" قال رسول الله صل الله عليه وسلم:" ما نظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة له؛ إلا كان معنا في الرفيق الأعلى." [٢].

لقد رفع الشيعة طاعة الإمام إلى درجة عالية، فهي بيت القصيد عندهم، وهي النتيجة المنطقية بالقول بالنص والتعيين والعصمة والعلم للإمام، فإذا كان الكون- بما يحويه من مخلوقات مختلفة ومتنوعة- مجبولًا على طاعة الله؛ ليستقر، ويهدأ، وينتظم في أداء وظائفه المنوط بها، فمن باب أولى، ينبغي على الإنسان المسلم، الذي منحه الله العقل؛ ليميز به الأشياء طاعة الإمام، والإذعان له، والامتثال لأوامره، وعدم مخالفته؛ وذلك؛ لكي تستقر وتستقيم حياة الإنسان أيضا، ويرى الشيعة أن محاولة مخالفة الإمام أو الخروج عليه، في أي أمر من الأمور، مهما كان صغيرا أم كبيرا ؛ فهي خروج على النظام الفطري، الذي فطر الله الإنسان عليه ؛ ويؤدي- لا محالة -إلى وجود خلل في الكون، ومن هذه النقطة بالذات؛ أمست طاعة الإمام جزءًا لا يتجزأ من انسجام الكون، وعدم اختلاله.[٣]

وترى الشيعة أن الطاعة، هي مفتاح النجاح، وأداة الفلاح لأي أمر يطلبه المسلم، وهي جوهر جميع الأشياء وبابها، وهي أداة لمقياس رضا الحق سبحانه وتعالى عن

---

١) وجيه قنصو: الشيعة الإمامية بين النص والتاريخ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦، ص٢٥٨ ١-

*) الطاعة: اسم للطوع الذي هو مصدر "طاع" "يطوع" وهو يؤدي إلى معنى الانقياد، والتنفيذ لما يؤمر به بكل رضا ودون أي ممانعة، والطاعة ضد الكره، وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، والطوع هو الانقياد بسهولة ويسر، ومنها هو طوع يديك ومنقاد لك.أنظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٢٤ .

٢)الشيخ الطوسي: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، مج٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط١، ١٣٦٥هـ، ص ٩٧

٣)عبدالله جنوف: عقائد الشيعة الاثنى عشرية وأثر الجدل في نشأتها وتطورها حتى القرن السابع من الهجرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ١٩ .

العبد، والقبول، دون اعتراض على قضاء الله وقدره، والمغزى الأساسي في قبول القضاء والقدر؛ هو مغزى سياسي من الدرجة الأولى، وذلك سوف يوجب على الرعية الطاعة العمياء للإمام، وعدم الاعتراض على سلطته، ومن يحاول الاعتراض على سلطة الإمام؛ فالويل كل الويل له، واتفقت الإمامية والإسماعيلية، على أنه من أنكر إمامة أحد الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة؛ فهو كافر ضال؛ يستحق الخلود في النار.هذا ما عبَّر عنه الإمام الباقر بقوله:" ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى ؛ الطاعة للإمام بعد معرفته."(١) ؛ ثم تلا قول الحق سبحانه وتعالى:" **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**" (٢).

والطاعة العمياء للإمام؛ تأتي من اعتقاد الشيعة؛ أن الإمام معصوم من الخطأ، ومن هنا أوجبت الشيعة الطاعة العمياء؛ لكون أئمتهم جميعا معصومين من الخطأ، كعصمة الأنبياء والرسل؛ وبالتالي فإن فكرة أن يكون الإمام عاصيا لأوامر الله ورسولة؛ فكرة غير واردة بأية حال من الأحوال عندهم، وإذا كانت الشيعة قد أوجبت طاعة الإمام؛ فإنهم أيضا قد أوجبوا عدم طاعته والخروج عليه؛ طالما ثبت لديهم؛ أن هذا الإمام يخالف الله ورسوله، وهذا الوجوب وجوب افتراضي، لا يتم ولا يقع بأي حال من الأحوال، وتحت أي ظرف من الظروف؛ وذلك لأنه ما دام الإمام معصوما فلن يعصي الله طرفة عين. وبالتالي؛ فإن فكرة الخروج عليه أيضا مرفوضة رفضا بتا. ويوضح الإمام أبو جعفر ذلك؛ فيقول:"أربع من قواصم الظهر، منها: إمام يعصي الله ويطاع أمره."(٣)

وعلى ذلك، وبعد هذا العرض، نجد أن مفهوم الولاية (الحكم) قد اتخذ بعدا سلطويا سياسيا، اتشح بالقدسية الدينية؛ إمعانا في تأكيده وتبريره ؛حيث يثبت أن الإمام منصوص عليه في كتاب الله، ومعيَّن من قبل الرسول الكريم، ومعصوم من الوقوع في الخطأ، ولديه العلم الظاهر واللدني متى أراد ذلك، ولما كان الجهر بهذه الأصول؛ يثير حافظة المسلمين عامة، فقد لجأوا– في أحيان كثيرة –إلى إخفاء ذلك بمبدأ التقية(*)، كل ذلك؛ لتضمن الشيعة أن السلطة لأئمتها، ثم تأتي مظاهر هذه الدعائم؛ لتخدم أهدافا سياسية أيضا، وهو عدم الخروج على الحاكم، والطاعة العمياء للسلطة الشيعية؛ بما يضمن دوام سلطانهم إلى الأبد.

---

١) الكليني: الكافي، ج١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨ هـ، ص ص ١٨٥ ، ١٨٦

٢) سورة النساء، الأية رقم ٨٠

٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي: المحاسن، ج١ ت: السيد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت، ط٣، ١٤٣٢، ص ١٧٨

*) التقية:كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم، بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا، وفرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي في الظن، فمتى لم يعلم ضررا بإظهار الحق ولا قوي في الظن ذلك؛ لم يجب فرض التقية".انظر:الشيخ المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٧٨

http://www.yasoob.com/books/htm١/m٠١٣/١١/no١١٤٧.html

المبحث الثالث: الأسس والدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية:

ناقشنا في المبحث السابق الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة، وقد تبين لنا؛ أن هذه الأبعاد سياسية في المقام الأول، لكنها لبست ثوب الدين؛ لتضفي عليهم قدسية ،تمنع ثورة العامة عليهم من المسلمين، كما تبين لنا أيضا، كيف وظفت الشيعة الدين لخدمة أغراضهم السياسية، فكانت دعائم السلطة لمفوم الولاية، قائمة- بالدرجة الأولى- على النص من كتاب الله، وعلى التعيين من قبل الرسول الكريم، وهاتان الدعاماتان من أقوى وأشد الدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة على الإطلاق، والتي تخدم أطماعهم السياسية. ثم جاءت العصمة والعلم؛ ليؤكدا أن الإمام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه في حال المعية مع الله ؛لأنه وارث الكتاب؛ وبالتالي، فهو معصوم على الدوام، وفي الوقت نفسه، هو العالم بالظاهر والباطن؛ متى شاء أن يعلم، وعلى ذلك؛ لا أحد من الرعية يستطيع أن يخرج على الإمام، ولا يملك حيال سلطته؛ سوى الطاعة العمياء لها. والسؤال الذي يفرض نفسه: هل الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة؛ ظلت هي هي عند الصوفية، أم أن هناك بعض التطور؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفقرات التالية.

مما لا شك فيه، أن الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية؛ لا يمكن أن تكون قائمة على السياسة بأي حال من الأحوال، ولكنها قائمة -بصورة أساسية- على بعض الدعائم الروحية لمفهوم الولاية، والتي سنحاول أن نبرزها؛ وذلك من خلال إيضاح الهرم السلطوي عند الصوفية، ثم إيضاح الرابطة الروحية بين كل من الشيخ والمريد، ثم نحاول الإجابة عن سؤال، إلى أي مدى تضمن مفهوم الولاية عندهم بعدا سلطويا؟ وما طبيعة هذه السلطة؟ وهل هي سلطة دينية أم سياسية؟

١- دعائم الهرم السلطوي عند الصوفية:

بعد أن عرضنا سابقا مفهوم السلطة عند الشيعة، وأوضحنا أبعاده السياسية، وكيف ارتبطت بالدين، سنلقي الضوء على الأسس والدعائم التي يقوم عليها مفهوم الولاية؛ بوصفها سلطة سياسية، ومدى ارتباطه بالنبوة، وتحوله إلى مفهوم ديني ؛حتى إنه أصبح يمثل- عندهم -أصلًا من الأصول الاعتقادية التي يؤمنون بها.

أ) القطب:

القطب هو أعلى سلطة عند الصوفية ؛وذلك لأن من صفاته الخاصة به وحده ؛أنه القائم بحق الكون، والمكون وهو واحد، وهو عبد الله، وعبد الجامع، وهو المنعوت

بجميع الأسماء تخلقا وتحققا، وهو مرآة الحق، ومجلي النفوس المقدسة، ومحل المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت، وعين الزمان، وسر القدر، وهو يسري في الأكوان، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، وهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو الغوث؛ من حيث إغاثته العوالم بمادته ورتبته الخاصة، وهو صاحب الديوان الإلهي؛ فلا يكون إلا من وراء حجاب، إلى أن يموت، فإذا مات؛ لقي الله؛ وهو مسئول عن العالم، والعالم مسئول عنه، وعلى ذلك؛ وجبت له المبايعة؛ بوصفه واحد الزمان، خاصة الذي يظهر بالصورة الإلهية في الأكوان.(١)

ومن بعض علاماته؛ أن يكون صاحب حلم ورأفة، وأن يمد بمدد العصمة، الذي هو الحفظ الإلهي، وأن يمد بمدد حملة العرش من القوة والقرب، فهو حامل عرش الأكوان ، كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمن، وأن يطَّلع على علم البدء، والمراد علمه تعالى، السابق للأشياء قبل أن تكون، وهو العلم المحيط بكل علم وكل معلوم؛ إذ لا يخرج عن علمه تعالى شيء، وكل علم وكل معلوم يعود إليه، وهذا سر القدر، إلى آخره، من العلامات التي يختص بها القطب وحده.(٢)

والسؤال الذي يطرح نفسه: أي نوع من المخلوقات، يكون صاحب السلطه هذا؟ وإن وجد، هل يوجد من يجرؤ على أن يخرج على سلطته؟!

ب) الإمامان:

الإمامان هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث، ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وبنظرة بديهية؛ نصل إلى أن الذي على اليمين؛ هو أعلى من صاحبه الذي على اليسار، ويمكن رفعه؛ إلى أن يكون بدرجة مشير على القطب، فهو من جهة، نائب القطب والمشير عليه، ومن جهة أخرى، هو من يخلفه؛ في حالة الانتقال إلى الرفيق الأعلى، والأول عبد الرب؛ لأنه ينظر في عالم الباطن والأسرار، والثاني عبد الملك؛ لأنه ينظر في عالم الظاهر، وهما معا يجلَّان القطب، ويعرفون قدره تماما، ولا يملكان تجاهه ؛ إلا السمع والطاعة.(٣)

---

١) ابن العربي: الفتوحات المكية، ج٧، ت: عبدالعزيز سلطان المنصوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠١٧، ص١٤، وأيضا: ج٨، ص ٣٧٨

٢)عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف وبليه كشف النقاب عن سر الألباب، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د.ت، ص ٨١ وما بعدها. وأيضا: علي بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٤٩.

٣) رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص ١

ج) الأوتاد:

الأوتاد وهم أربعة رجال، منازلهم على الأربعة أركان من العالم، فهناك وتد الشمال، ووتد الجنوب، ووتد الشرق ووتد الغرب، ومقام كل واحد منهم، مقام تلك الجهة، وسلطة كل واحد منهم، أخص من الأبدال ، إلا أن سلطة الإمامين أخص منهم، فالسلطة التي تخول إليهم؛ في منزلة وسطى بين سلطة الإمامين؛ بوصفهما السلطة السابقة عليهم، وسلطة الأبدال، بوصفهم التالين لهم. باختصار، إن سلطة الأوتاد دون سلطة الإمامين، وفوق سلطة الأبدال، ومن أهم خصائصهم؛ أنهم الراسخون في العلم.[١]

د) الأبدال:

يطلق لفظ الأبدال، على من تبدَّلت بأوصافه المذمومة أوصاف أخرى محمودة، ويطلقونه على عدد خاص بينهم وهم أربعون، والسبب الرئيسي في تسميتهم أبدالا؛ لأنه في حالة انتقال أحدهم إلى الرفيق الأعلى، كان هناك آخر بدلا ممن انتقل ؛بحيث أن عددهم لا يمكن أن ينقص عن الأربعين بأية حال من الأحوال، بالإضافة إلى أنهم قد أعطوا من المقدرة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون.[٢]

هـ) النقباء:

النقباء هم اثنا عشر نقيبا في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، وهم على عدد بروج الفلك الاثنى عشر برجا، ويعهد كل نقيب بالبرج الخاص به، وهو المسئول الأول والأخير عنه، فالحق- سبحانه- قد خلق كل نقيب، وأطلعه على مخزون وأسرار كل برج وتأثيراته؛ بل التحكم فيه بقدرة الله.[٣]

و) النجباء:

أما النجباء، فقيل إنهم أربعون، وفي بعض الروايات سبعون، وشغلهم الشاغل حمل أثقال الخلق، فلا ينظرون إلا في الحق، ولهم ثمانية أعمال: أربعة باطنية، وهي: الفتوة، والتواضع، والأدب، وكثرة العبادة، وأربعة أعمال ظاهرة هي: الصبر، والرجاء، والشكر، والحياء، والنجباء أهل المكارم، والأخلاق، والذوق، والعرفان، وهم أهل النقاء، والصفاء، والقلوب النقية، والعرفان، وهم لا يتصرفون إلا في غير الحق.[٤]

---

١) ابن العربي: الفتوحات المكية، ج١، ص ٤٩٢. وأيضا: ابن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص ٨٠

٢) ابن العربي: الفتوحات المكية، ج١، ص ص ٤٩٢ ، ٤٩٣

٣) رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ٩٨٩

٤) المرجع السابق: ص ٩٦٥

هذا التنظيم الهرمي للسلطة على المستوى الرسمي لدى الطرق الصوفية، إلا أن بعض الباحثين، قد لاحظ أن العامة، قد لقبوا الكثير من عظماء ومشاهير الصوفية بلقب ملكي معروف، ومتداول بين القاصي والداني، وهو لقب "السلطان"، فقد لقب به إبراهيم بن أدهم (ت: ١٦٢هـ)، وكذلك لقب به أبو يزيد البسطامي (ت: ٢٦١هـ)، ومن بعدهما، سلطان العارفين محيي الدين بن عربي (ت: ٥٤٣هـ)، وكذلك لقب ابن الفارض (ت: ٦٣٢هـ) أيضا بسلطان العاشقين.[١] وقد لقب العز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ) بلقب سلطان العلماء، وأطلق أيضا على مولانا جلال الدين الرومي (ت: ٦٧٢هـ)

وإذا كان هذا هو البناء الهرمي للسلطة داخل البناء الصوفي، فإن أهم ركن من أركان هذه السلطة؛ أن صاحب السلطة ،لابد وأن يكون حائزا على شرف الولاية ؛ إذ بدون هذا الركن؛ لا يمكن أن تتحقق هذه السلطة على الإطلاق، وعلى ذلك لا يستطيع القطب الغوث، أن يكون قطبا بالمعنى الذي تناولناه عند الصوفية، إلا أن يكون حائزا على شرف الولاية، كذلك أن سلطة الصوفية، موجودة بالفعل عندهم في كل زمان، وهي أيضا، مفروضة على جميع الأكوان كما يعتقدون، وهي أيضا موجودة في الظاهر والباطن، بما يفيد أنها مستمرة ومتجددة، ولا تزول أبدا وتحوي جميع الصوفية فيها.

٢- علاقة الشيخ بالمريد (الرابطة الروحية بين الشيخ والمريد):

وبعد أن تناولنا هذا التنظيم الهرمي السلطوي عند الصوفية، نلقي الضوء على علاقة الشيخ بالمريد – العلاقة المعتدلة الوسطية دون إفراط أو تفريط –؛ وذلك لإبراز الأبعاد الروحية لمفهوم تلك العلاقة، وهل تتسم بالسلطوية أم أنها علاقة إجلال وإكبار ومحبة؟؟

أ) الشيخ:

الشيخ هو الولي، والمربي هو الذي مر بالتجربة، وخالف الأغيار – النفس والهوى والشيطان – وصارع الهوى؛ وانتصر عليه، وعلى الحظوظ والشهوات، وذلك بعد صراع عنيف، وهذا الأمر في غاية الصعوبة، كما بيَّن لنا ذلك أبويزيد البسطامي؛ حين قال:" إذا عرف عيوب نفسه، وقويت همته عليها؛ فحينئذ يبلغ مبلغ الرجال." [٢]؛أي يبلغ مبلغ المشايخ الكبار، الذين يجيدون تربية المريدين تربية سليمة.

---

١) ابن الفارض: ديوان ابن الفارض"قراءات لنصه عبر التاريخ"،ت:جوزيبي سكاتولين،المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة،٢٠٠٤ ،"مقدمة المحقق"،ص ١

٢) قاسم محمد عباس: أبو يزيد البسطامي "المجموعة الصوفية الكاملة ويليها كتاب تأويل الشطح"، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٠٠ ٢-

والشيخ المربي الصادق، يستطيع أن يلقن مريده، سبل الرشاد، ويبصره بالطريق المستقيم، وفي الوقت نفسه ، هو حائط الصد والدفاع الأول، الذي يستطيع أن ينجيه من العثرات والعوائق؛ حتى يستقيم حاله ؛ وذلك لأن الركون إلى النفس والهوى والشيطان، أمر سهل ويسير، ويصادف متعة في النفس رائعة، في حين أن العمل- وفق مرضاة الله- أمر شاق وصعب وعسير، وعلى ذلك؛ وجب وجود الشيخ المربي؛ ليقوم بمهام التربية الروحية.(١)

ويرى بعض أئمة التصوف؛ أن هذا الطريق الصوفي، لما كان له من مقام العز والشرف؛ فقد حفَّت به الآفات والشهوات، والشرور، والآثام، من جميع الجهات، وعلى ذلك، فلا يقوى على الدخول فيه أو الالتحاق به ؛ إلا كل سالك، شجاع، مقدام، صافي النفس، دافيء المشاعر، أبيض القلب، إلا أنه يجب على السالك ألّا يسلك هذا الطريق الوعر وحده؛ وإلا تاه وندم، وتفرقت به السبل، وإنما يكون الإذن بالدخول؛ على يد شيخ أمين مؤتمن على الطريق وأهله، قادر على عملية النصح والإرشاد، وحينئذ؛ تقع الفائدة المرجوة من التربية.(٢)

يرتقي الشيخ عند أهل التصوف والنقاء؛ إلى درجة أنهم يعتقدون، أنه جند من جنود الله، سخَّره الله سبحانه وتعالى للمريدين المختارين بالهداية، فهو عندهم، المرشد الذي يرشد المريدين، وهو الهادي إلى طريق الحق المستقيم، وهو نور الله، الذي يترك المريدون به عوالم الظلام، ويكونون على استعداد تام للدخول إلى عوالم النفحات والأنوار الإلهية، ومن هنا؛ فالشيخ يكون معدا من قبل الحق سبحانه وتعالى ؛ إذ إنه خاض كل تجارب المريد، ونجح فيها بجدارة؛ ومن ثم أصبح شيخا، قادرا على أن يسوس نفوس المريدين، كما كان شيخه يسوس نفسه هو من قبل.(٣)

إذن، الشيخ يعيد تسطير حياة المريد؛ تبعا لنموذج من الأفكار والممارسات على المستوى الأخلاقي والقيمي، تفوق تلك التي يستعملها رب الأسرة وسط أسرته وأهله ؛ وذلك من خلال منهج دقيق ومنظم جدا.(٤)

---

١) حسن الشرقاوي: الحكومة الباطنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص ٢٠٣

٢) الشعراني: الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق، ت: حسن الشرقاوي، دارالمعارف، الإسكندرية،١٩٩١،ص٤٩وما بعدها

٣) شهاب الدين عمر السهروردي: عوارف المعارف، ملحق إحياء علوم الدين، ص ص ٧٣ ، ٧٤ ٣-

٤)عبد الله حموي: الشيخ والمريد"النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة يليه مقالة في النقد والتأويل"،ترجمة عبد المجيد حجفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠١٠ ،ص ١١٢ . وأيضا:

Sayed Mostafa Azmayesh: The Teachings of Asufi Master, Simorgh Sufi Society, P: ١٧

.http://www.sufism.ir/books/download/english/azmayesh-en/teaching-azmayesh-en.pdf

وبالتالي، فإن الشيخ ،يتولى –بشكل تدريجي تربوي– إعادة تأهيل المريد من الناحية السلوكية والأخلاقية؛ وذلك عن طريق قطع علائق حب الدنيا، والمال، والجاه، والسلطان، والشهوات ما ظهر منها وما بطن، ويعيد ضبط الجانب السلوكي والأخلاقي عنده؛ لأن التصوف والأخلاق وجهان لعملة واحدة. وبمعنى آخر، إن كمال الحياة الروحية الصحيحة للدين، لا ينفصل عن الأخلاق في الاعتقاد والسلوك، فالتصوف علم ديني للأخلاق الإسلامية.[١] ومن هذه الحيثية ؛ وجب على الشيخ إتمام عملية التربية الصوفية للمريد؛ في إطار الدين دون إفراط أو تفريط.

عملية ضبط الجانب السلوكي والأخلاقي، ليست بالعملية السهلة، التي يمكن أن يقوم بها أي مدعٍ للتصوف؛ فالشيخ الذي يقوم بهذه المهمة، ليس كأي شيخ، وإنما يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط، التي لا تتوافر في غيره ومنها:أولا: أن يكون عالما بما يحتاج إليه المريد من الفقه والعقائد، ثانيا: أن يكون عالما بكمالات القلوب وآدابها وآفات النفوس وأمراضها، ثالثا: أن يكون كلامه صافيا من شوائب الهوى والهزل، رابعا: أن يستر ما اطلع عليه من عيوب المريدين ... إلخ.[٢]

ب) المريد:

المريد هو ذلك السالك في طريق الله بصورة فطرية، وبالتالي؛ فهو في حاجة ماسة –في أول خطوات الطريق الصوفي– إلى من يرشده، ويعلمه ما هو حق؛ فيتبعه، وما هو باطل؛ فيجتنبه، وما هو خاطر شيطاني؛ فيستبعده، وما هو وارد رحماني من عند الله؛ فيتمسك به، وفي بداية الطريق؛ يجب على الشيخ؛ أن يسلح مريده بأربعة أسلحة، يدافع بها عن نفسه في امتحانات الطريق، ويدفع بها شرور النفس الأمارة بالسوء، وسقطات الهوى، ووساوس الشيطان، وهذه الأسلحة، تتمثل في: الخلوة، والصمت، والصوم، والأرقة، بالإضافة إلى زهده في أربعة أشياء: المال، والشهرة، والتقليد، والمعصية.[٣]

إن وجود الشيخ؛ هو حجر الزاوية، أو بيت القصيد عند الصوفية ؛ فهم يرفعونه إلى درجات العلا، وله أهمية خاصة في حياة المريد، فمعظم أئمة التصوف، يكادون يجمعون على أهمية وجود الشيخ في الطريق الصوفي، فالشيخ هو المنبع أو المورد،

---

١) أحمد محمود الجزار: التصوف مفهومه ومنهج دراسته عند التفتازاني، ضمن كتاب الدكتور أبو الوفا التفتازاني أستاذا للتصوف ومفكراً إسلامياًبحوث عنه ودراسات مهداة إليه"، إشراف وتصدير د/ عاطف العراقي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤ ص ١٩٢ .

٢) محمد أمين الكردي الإيربيلي: تنويرالقلوب في معاملة علام الغيوب، يطلب من المكاتب الشهيرة في مصر، ط١٣٧٢،٩ هـ، ص ص٤١١،٤١٠

٣) حسن محمد الشرقاوي: الحكومة الباطنية، ص ٢١٣ ٣-

الذي يأخذ المريد عنه، قواعد الطريق الصوفي، بصورة متواترة عن شيوخ التصوف الأوائل، فالمريد الذي ليس له شيخ يشرب منه؛ يكون عابد هواه، ومعلمه الشيطان، أو على حد تعبير أبي يزيد البسطامي ذاته:" من لم يكن له أستاذ؛ فإمامه الشيطان."[١]

إذن، المريد –لا محالة –يحتاج إلى وجود شيخ، يستكشف من خلاله الطريق، فهل على المريد أن يكون له أي شيخ، سواء كان مدعيا أم حقيقيا؟، بمعنى آخر ما العلامة التي يستطيع المريد الصادق؛ أن يستدل بها على الشيخ الحقيقي، الذي يمكن أن يعتمد عليه في غيابات الطريق حتى ينكشف؟ العلامة التي يمكن للمريد؛ أن يستدل بها على شيخه؛ هو ذلك السر النوراني الرباني، الذي يربط بين المريد والشيخ، ويشعر المريد بسريان نورانية الشيخ في نورانيته، فتتكشف العوالم الظلمانية داخل المريد، ويسطع نور الله ؛ بواسطة الشيخ فيها، فلا يبقى في نفس المريد، من حقد، أو كره، أو ظلم، ويتحول ذلك ؛إلى محبة، وإجلال، وإخلاص، وأنس لا يصاحبه إذلال، باختصار، إن هدف الشيخ من المريد؛ هو إيقاظ حواس الروح عنده (المريد).[٢]

الشيخ بالنسبة إلى المريد؛ هو نقطة الانطلاق، ليس فقط إلى عالم الألوهية –التوحيد الصادق السليم – ولكن أيضا إلى عالم تحقيق الذات، فالمريد يكون في بحر، تتقاذفه فيه الأمواج، ويكون على وشك أن يغرق، حتى يعرف شيخه، الذي يكون– بالنسبة له– طوق النجاة؛ الذي ينجيه من الغرق؛ فيستطيع المريد أن يعرف نفسه ويعرف ربه؛ بل الأكثر من ذلك؛ يستطيع أن يحقق ذاته في الطريق الصوفي الوعر.[٣]

والطريق الصوفي ليس متاحا للقاصي والداني، فكما أن للشيخ الصادق بعض العلامات، التي يجب أن تتوفر فيه، كذلك ليس كل سالك، يستطيع أن يكون مريدا صادقا؛ وبالتالي، فإن للمريد الصادق بعض العلامات، نذكر بعضها باختصار: أولا: أن المريد لا يحصل مقصودا؛ إلا على يد الشيخ، ثانيا: أن يكون مستسلما، طائعا، راضيا بتصرفات الشيخ، يخدمه بالمال والبدن؛ لأن جوهر الإرادة والمحبة؛ لا يتبين إلا بهذا الطريق، ووزن الصدق والإخلاص لا يعلم إلا بهذا الميزان، ثالثا: أن يسلب اختيار نفسه؛ باختيار شيخه، في جميع الأمور، سواء كانت كلية أو جزئية عبادة أم عادة، رابعا: أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة؛ ببركة شيخه...إلخ.[٤]

---

١) أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦٢١

٢) الشيخ أحمد زروق: عدة المريد الصادق، ت: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٥٩. وأيضا

Sayed Mostafa Azmayesh: The Teachings of Asufi Master, Simorgh Sufi Society, P: ٢٠

(٣) Idries Shah: The world of The Sufi "An anthology of writings about Sufis and their work", I S F Publishing, London, United Kingdom, ٢٠١٩, P: ٢٦

٤) الشعراني: الكوكب الشاهق، ص ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ -

إذا كانت هذه؛ هي شكل ومظهر العلاقة بين الشيخ والمريد في هذا التنظيم الروحي الهرمي السلطوي، فهل تقوم هذه العلاقة على القهر والإذعان والقوة، أم على الرغبة والإرادة والمحبة والتفاني؟ هذا ما سوف نوضحه في النقطة التالية.

٣- البعد الروحي السلطوي لمفهوم الولاية عند الصوفية:

هناك بعض الدعائم، التي توضح البعد الروحي السلطوي لمفهوم الولاية عند الصوفية؛ من خلال التعرض لبعض الدعائم التي توضح الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عندهم:

١-النسب:

إذا كان الشيعة قد عوَّلوا كثيرا على النص والتعيين، بوصفها دعائم، ترسخ البعد السلطوي لمفهوم الولاية من الناحية السياسية؛ وذلك ليكتسبوا نوعا من الشرعية الإلهية لسلطتهم، فإن الصوفية قد تطور الأمر عندهم؛ فأصبح النسب يحل محل النص والتعيين، فالشيخ إذا كان منسوبا إلى رسولنا الكريم؛ فإن ذلك يؤدي بصورة مباشرة؛ إلى وضع الشيخ في منزلة الإمام، ليس بالطبع من الناحية السياسية، ولكن من الناحية الروحية؛ ليصبح النسب من أقوى الدعائم الروحية لمفهوم الولاية عند الصوفية. فمَن من الصوفية بالإجماع ،لا يتمنى أن يكون شيخه من آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ بحيث يأخذ منه قواعد الطريق إلى الله بصورة نموذجية، تعكس المعنى الحقيقي للتصوف، وتبتعد عن الانحرافات المشينة، التي تنسب إلى التصوف زورا وبهتانا، هذا الشيخ الذي ينتهي نسبه إلى رسول الله؛ يكون هو الشخصية المؤيدة من قبل السماء، والتي يجب على كل مريد أن يسلم نفسه لها طواعية، وبكل حب وترحاب، تماما مثلما يسلم الميت نفسه إلى المغسل.[١]؛ حتى يحقق المريد ما يصبو إليه.

إن نسب الشيخ إلى آل بيت النبي؛ يضفي نوعا من القدسية في مسألة أخذ العهد بين المريد والشيخ؛ إذ يستحضر المريد، عظمة موقف بيعة العقبة بين النبي الكريم وبين الأنصار، مصداقا لقوله تعالى:" **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**"[٢] وهذا العهد، يستحضر فيه المريد روح رسولنا الكريم في روح الشيخ المنسَّب، وهذا العهد بين المريد والشيخ؛ يكون على دخول المريد في نطاق الطريق الصوفي؛ وترتب على ذلك التوبة والاستقامة

١) محمد أمين الكردي: تنوير القلوب في معاملة المحبوب، ص ٥٢٨

٢) سورة الفتح، الآية رقم ١٨

والأدب، وطاعة الشيخ في السراء والضراء، وهذا العهد يكون بمثابة رباط روحي بين المريد والشيخ المنسب، لا ينفك منه أبد الدهر، والعهد عند الصوفية؛ يكون بمثابة إعلان دخول المريد في طريقة الشيخ الذي اختاره ؛ومن ثم الطريقة التي اختارها ،والتزم بأورادها، في المواعيد التي يحددها له الشيخ؛ ومن هنا أصبحت الطريقة سلوكا جماعيا، وأضحى التصوف؛ يقوم على الجماعة، بعد أن كان حظ أفراد متفرقين، وعلى ذلك؛ بدأوا يخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي؛ بفضل وجود شيخ منسَّب إلى رسولنا الكريم.(١).

إذن، يؤدي نسب الشيخ إلى آل البيت النبوي الشريف دورا فاعلا؛ بوصفه أحد الدعائم المهمة لسلطة الشيخ على المريد طالما كان معتقد المريدين؛ أن الولاية موهبة من الله على يد الأشياخ.(٢) فمريد اليوم؛ هو شيخ الغد ولكن ليس الشيوخ على قدم واحد، فالشيخ المنتهي نسبه إلى آل البيت؛ قد أوتي جوامع الكلم، وعنده رؤية غير محدودة، ونظرة غير مرئية؛ لكي يكسب ولاء المريدين له، ويقنعهم بولايته، ولكي يكون له سلطة مطلقة عليهم، إلا أن هذه السلطة؛ تكون برضا تام، وقائمة على الحب والإخلاص، والتفاني في خدمة الشيخ المنسب إلى آل البيت.

٢-الحفظ من الله:

عوَّل الشيعة على مفهوم العصمة عندهم؛ حتى يضمنوا الولاء السياسي من الرعية لأئمتهم، وقد أكدوا ذلك بالقول إن هناك نصا مباشرا في عصمة أئمتهم، أما الصوفية فإن أحد دعائم الأبعاد السلطوية، لمفهوم الولاية عندهم؛ هي الحفظ من عند الله، وهذا المفهوم قد طورته الصوفية، فبدلا من القول بالعصمة؛ قالوا بالحفظ من عند الله، فالصوفية يرون أن الولي ليس بمعصوم، وذلك؛ لأن العصمة للأنبياء والمرسلين فقط، لا للأولياء المحفوظين من عند الله، ومعنى الحفظ في حقهم؛ أنهم لا يفعلون المعاصي، وإن فعلوها؛ يندمون، ويجب عليهم التوبة فورا، وهذه التوبة توبة تامة، مع الندم، والعزم ألا يعودوا إلى المعاصي مرة أخرى، سواء كانت صغيرة أم كبيرة، وأكبر الظن، أن الصوفية يعتقدون ؛بأنه لا بد للولي من ذلة مع نفسه، يعرفها، وتلجم نفسه، وتجمح جماحها.(٣)

---

١) عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت، ص٦٠. وأيضا:
Farida Khanam: Sufism "An introduction", Good word books, Nizamuddin West Market, New Delhi, India,٢٠٠٩, P:٥٤ . And also: Trimingham, J. Spencer: The Sufi orders in Islam, oxford, at the clarendon press, London ١٩٧١, P: ١٠٧.

٢) عبد الوهاب الشعراني: الكوكب الشاهق، ص ٤٤

٣) محمد أمين الكردي: تنوير القلوب في معاملة المحبوب، ص ٤١١

ومن الراجح؛ أن الشيعة قد وظفوا العصمة ببعدها السياسي، إلا أن الصوفية قد استخدموا مصطلح "الحفظ"؛ للوصول إلى البعد الأخلاقي السلوكي، أو بمعنى أدق البعد الروحي، – وشتان ما بين هذا وذاك – فالحفظ الذي يراه الصوفية السنية المعتدلين؛ هو نوع من الكشف؛ حيث يصل الشيخ الولي إلى درجة من القرب مع الله، يكشف له بها الطريق؛ فيصبح محصنا أو محفوظا؛ من أن ينتهك حرمات الله؛ باتباع النفس الأمارة، أو لذات الهوى، أو وساوس الشيطان، وبمعنى آخر ،إن الحفظ؛ يعني أن الله سبحانه وتعالى، يقذف نوره الإلهي في قلب الشيخ؛ فيجعله قادرا على التمييز بين الحق؛ فيتبعه، والباطل؛ فيجتنبه.(١)

هذا النور الذي قذفه الله في قلب الشيخ؛ يكون حافظا له في جميع أحواله، وهو حائط الصد والدفاع الأول؛ الذي يقي الشيخ من المحن، والوقوع في الذلل، والفرق بين المعصوم والمحفوظ كبير؛ فالمعصوم لا يلام بذنب اقترفه مطلقا، ويرجع السبب في ذلك ؛أنه لا يقع في الذنب من الأساس؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، في حين أن المحفوظ؛ لا بد له من هنات، وفي النادر، بعض الذلات، وقد نصل من ذلك إلى عدم اشتراط العصمة كشرط للولاية عند بعض الصوفية، إلا أنه من شروط الولاية عند الصوفية؛ شرط الحفظ ؛ وبالتالي فإن الأولياء؛ غير معصومين من الوقوع في المعاصي سواء كانت كبيرة أو صغيرة، ومن هنا فينبغي للمريد ألَّا يعتقد في المشايخ العصمة؛ بل الواجب أن يزرهم وأحوالهم.(٢)

وهنا ينبغي على المريد؛ أن يفرق بين أمرين أساسين: الأمر الأول، أن المريد لا يعبد الشيخ، ولا يجعله إلها، أو حتى نبيا أو رسولا، الأمر الثاني: أن هذا الشيخ إنسان يصيب ويخطئ، فالأمر هنا، يتعلق بما هو كائن بالنسبة للشيخ؛ من أنه إنسان يصيب ويخطئ، وبين ما ينبغي أن يكون عليه الشيخ – الصورة التي يحب أن يرى عليها المريد شيخه – فمن وجهة نظر المريد الصادق، الذي يعتقد اعتقادا خاشعا؛ أن الشيخ لا يأتي بمعصية قط، وهو معصوم عصمة الأنبياء والمرسلين، حتى لو وجد شيخه على معصية بالفعل، وعلى ذلك فحب الشيخ واحترامه واجب، بعد أخذ العهد، مهما كان حال الشيخ بعد ذلك.(٣)

---

١) أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠١٣، ص ٢٦٢

٢) أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٥٧٩

٣) آنا ماري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، بغداد، العراق، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٢٢

٣-التوسم والفراسة:

التوسم بمعنى التفرس؛ أي المعرفة النافذة، أو البصيرة، والمتوسمون هم المتفرسون في الدين، والمتعرفون على حقائقه، والمتصيرون الذين يثبتون في تفرسهم؛ حتى يصلوا إلى الحقيقة، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله:" **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**"[١] ويروى في الحديث الشريف عن النبي صل الله عليه وسلم؛ أنه قال:"اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل."، ويرى أئمة التصوف؛ أن الفراسة موهبة من عند الله، دائمة في جميع الأوقات، يحظى بها الولي كمنة إلهية، ونعمة ربانية، يستخدمها متى شاء. فهذا الإمام الجنيد سيد الطائفة، عندما سئل عن الفراسة؛ قال: هي مصادفة الإصابة. فقيل له: هي للمتفرس في وقت المصادفة أو على الأوقات؟؛ قال: لا؛ بل على الأوقات ؛ لأنها موهبة ؛ فهي معه كائنة دائمة.[٢]

والفراسة من أهم الدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية ؛ فالشيخ لابد وأن يكون متفرسا؛ ينظر ويكشف ويستدل بنور الله؛ ذلك لأن الله سبحانه، جعل له سواطع لمعت في قلبه؛ لكي يدرك بها المعاني، وهو نور(الله) الذي يعدُّ من أخص خواص الإيمان، فشيوخ هذه الطائفة الصادقة؛ لهم مكانة كبيرة عند الله ،واختصهم بمنة الفراسة، وعلى ذلك؛ فالذي للناس غيب، لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود، فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال.[٣]

والشيخ الموصول من الله بهذا المدد، أو تلك الفراسة؛ يستطيع- من خلال النور الذي قذفه الله في قلبه- أن يتعرف أحوال المريدين عنده؛ فيكتشف من منهم صادق ومن منهم مخادع، وعلى ذلك؛ فلا يقوى أحد من المريدين الزائفين على خداعه أو غشه، أو الكذب عليه بأية صورة من الصور. إذن- عن طريق الفراسة- يميز الشيخ المريد ذا المعدن الحقيقي من المريد ذا المعدن التقليد. وبالتالي، يستطيع الشيخ؛ أن ينقي الطريق الصوفي، من متسولي التصوف وأدعيائه ،والمتكسبين من ورائه، ومن هم يصدرون صورا مشينة وغير حقيقية عن طريق الله وأهله.[٤]

ويجب على المريد الصادق؛ أن يكون على دراية تامة، تصل إلى حد حق اليقين؛ بأن الشيخ يكشف كل خواطره وظواهره وبواطنه، لا من جهة التلصص، وكشف

---

١) سورة الحجر، الآية رقم ٧٥.

٢) حسن الشرقاوي: ألفاظ الصوفية ومعانيها، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٥، ص ٢٤٩ وما بعدها. وأيضا: أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف "ولا التعرف لما عرف التصوف"، تقديم محمود النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٠، ص ١٥٧

٣) أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٦١٨

٤) فوزي محمد أبوزيد: همة المريد الصادق، دار الإيمان والحياة، القاهرة، ٢٠١٩، ص ١٩٦

العورات، وتفتيش البيوت، وإنما بنية كشف العيوب – للإصلاح – عن طريق الفراسة؛ ليقف الشيخ على مدى تقبل المريد، ومدى انصياعه لأوامره، والبعد عن نواهيه؛ وبالتالي صلاحية هذا المريد إلى السير في طريق الله. إذن لا بد للمريد الصادق؛ أن يكون لديه حق يقين في شيخه؛ بأنه أعرف بخواطره وعيوبه الباطنة منه، لكن من باب الفراسة، والكشف، والإلهام، لا من باب سوء الظن والشيطان.[١]

٤ –الهيبة:

الهيبة هي المخافة، ومهيب أي يخافه الناس، وتعطي معنى الإجلال والاحترام .[٢] والهيبة من أهم الدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية ؛ إذ يجب على الشيخ أن تكون له هيبة، واحترام، وإجلال بين المريدين، وهذه الهيبة؛ هي التي تجعل حال المريد الصادق مع شيخه، تماما كالميت بين يدي مغسله ؛ لا يحرك ساكنا، ولا يستطيع أن ينطق بكلمة بين يدي شيخه، فأي نوع من السلطة يمارسها هذا الشيخ على المريد؛ ليكون على هذا الحال؟ وفي الوقت نفسه، أي نوع من السلطة، يشعر بها المريد؛ ليكون مع شيخه على هذا الحال؟ بل الأكثر من ذلك، فالمقصود من وراء هذه الهيبة للشيخ، أنه كما أن المريد عبد لله تعالى؛ يجب عليه أن يكون عبدا لهذا الشيخ؛ بحكم الواسطة.[٣] ومع مبالغة الإمام الشعراني في هذا الوصف، فإنني أرى أن العبودية، لا تكون إلا لله وحده؛ عرفانا وإجلال وتقديسا له سبحانه وتعالى، ولكن قد يصل بهم الوجد ؛ إلى وصف هذا الشعور بأكثر مما يحتمله؛ ولذلك قال أكثرهم: لا يؤخذ بما يقول به الصوفي في حال الوجد والسكر؛ لربما شطح وعبَّر، بما لا يتفق مع أصول الإسلام الصحيحة.

والهيبة لدى الشيوخ، قد تأتي من إظهار بعض الكرامات للمريدين وغيرهم، على اعتبار أن الهيبة، تغذي تيارا نفسيا لدى المريد، بما يفيد أن الشيخ مطَّلع على علم الظاهر، وكذلك على علم الباطن ؛ وبالتالي تأتي كراماته على القدر الذي يحتاجه المريد، أو يحتاجه الموقف، الذي يكون الشيخ بصدده، والهيبة تجعل المريد مسلوب الإرادة، ليس لديه أي قرار؛ فقراره من قرار الشيخ، فأضحى لا يرى إلا بعينه، ولا يفكر إلا بعقله، ولا يسمع إلا بأذنه، ولا يتكلم إلا بلسانه، بمعنى أدق؛ فناء إرادة المريد في إرادة الشيخ ؛ فيسلب عنه اختياره وإرادته.[٤]

---

١) عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، حققه وقدم له: طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد الشافي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨، ص١٨٨

٢) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٧١٨

٣) عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة السادة الصوفية، ص ١٨٩ وما بعدها

٤) أحمد محمود الجزار: الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٨١

أما مظاهر هيبة الشيخ على المريد؛ فتتمثل في الآتي: المريد إذا وقع له احتلام، كأي إنسان؛ فلشيخه معاقبته، وذلك لأن الاحتلام برؤية في النوم، أو في التصور، أو في اليقظة؛ لا يكون إلا من بقية شهوة في خياله، فإذا احتلم المريد ؛كان ذلك لضعف أعضائه الباطنية، بمرض طرأ في مزاجه، وبالتالي فالمريد لا يقدر هيبة الشيخ؛ ووجب للشيخ تربيته، فعند بعض الصوفية؛ أن الشيخ لا يصل إلى درجة الكمال عندهم؛ إلا إذا علم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب، وهو نطفة من يوم "ألست بربكم"، إلى استقراره في الجنة أو النار.[١]

ومن مظاهر الهيبة أيضا لدى الشيخ؛ أن المريد لا يخون شيخه بأي حال من الأحوال، والخيانة تأتي؛ من كون المريد قد أخفى على شيخه، أي نفس من أنفاسه، والمريد الذي يفعل ذلك؛ يقع تحت طائلة الخيانة في حق صحبة شيخه، واعتقد أن هذا الأمر قاسٍ جدا على المريد، فالشيخ يريد من المريد؛ أن يكون كتابًا مفتوحا بالنسبة له؛ بل الأكثر من ذلك؛ أن الشيخ يعد على المريد أنفاسه وحركاته وسكناته، وعلى ذلك؛ لا يوجد أي نوع من الخصوصية أو السرية للمريد، وهذا يقودنا إلى قاعدة من أهم القواعد صرامة في علاقة المريد بشيخه، وهي الشفافية؛ فيجب على المريد؛ أن يكون صادقا مع شيخه؛ لدرجة رفع الحياء، الذي يجب أن يتحلى به المريد في حضرة شيخه، وتستتبع الأخطاء الكفارة بالعزلة والجوع والصمت والذكر.[٢]

إذن، نستطيع أن نقول إن هناك بعض الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية، وهي تعتمد على النسب الذي يلعب الدور الأساسي؛ في فرض السلطة على المريدين من الناحية الروحية، ثم العصمة التي تطور مفهومها أيضا من العصمة عند الشيعة؛ إلى الحفظ عند الصوفية، ثم بعد ذلك تأتي الفراسة والهيبة، وتنفرد الصوفية بهما دون غيرهم من فرض السلطة لهم لدى المريدين، ولهذه الأبعاد السلطوية، بعض المظاهر نوجز أهمها في الآتي:

١-الأدب(*):

عندما سئل الإمام الجنيد عن الأدب؛ قال: الأدب أدبان: أدب السر، وأدب العلانية، فالأول طهارة القلب من العيوب، والثاني حفظ الجوارح من الذنوب.[٣] ويعدُّ الأدب؛ من

---

١)عبد الوهاب الشعراني: الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، طبعه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ٧٥ وما بعدها.

٢) عبد الله حموي: الشيخ والمريد، ص ١٢٣

*) الأدب من الفعل (أدب) وفلان أدّب فلانًا ؛ بمعنى علّمه محاسن الخلق، وأدّب فلان الدابة؛ أي قام بترويضها وتربيتها، كلمة الأدب عملية تهذيب النفس والسلوك، وأدب حسن التناول. انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٤٢.

٣) أبو حفص بن الملقن: طبقات الأولياء: ت: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣، ص ص ١٢٧، ١٢٨

أهم مظاهر الدعائم السلطوية لمفهوم الولاية، فهو الغاية النهائية من التجربة الصوفية عند الشيخ والمريد، وآداب المتصوف، تتمثل في صفاء النفوس، وطهارة القلوب، وحفظ الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مقام الطلب، أي حسن الأدب مع الله، وكذلك الأمر، حفظ الأدب مع الشيخ المربي، وعلى ذلك؛ جاء قول أبي العباس المرسي للمريدين:"عليكم بمعانقة الأدب مع أستاذكم ولو باسطكم؛ فإن قلوب الأولياء كقلوب الملوك، تتقلب من الحلم، إلى الغضب والانتقام في لمحة".(١)

والمتصوفة يعولون على الأدب بصورة كبيرة جدا؛ فهو نتيجة للسلطة الروحية، التي يمارسها الشيخ تجاه المريد، إلا أن المريد، يقابل هذه السلطة، بشوق، ولهفة، وحب، وترحاب، وهنا بعض المظاهر التي تثبت للمريد الأدب مع شخيه؛ منها: أنه لا يجوز أن يكون للمريد شيخان في وقت واحد؛ وذلك لأن تعدد المشايخ على المريد؛ يؤدي إلى فساده، فكما أنه لا يوجد للعالم إلهان، ولا للمرأة زوجان – في وقت واحد – ولا للرجل قلبان ؛ فكذلك الأمر من باب الأدب؛ لا يوجد للمريد شيخان.(٢)

ومن مظاهر الأدب أيضا، أنه يجب على المريد الصادق؛ أن يكون صبورا مع شيخه، فمن الأدب؛ أن يقف على أعتاب بيت الشيخ؛ إن أقدم الشيخ على طرده؛ فلعل ذلك الطرد للتأديب، والتهذيب، والإصلاح، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يكون اختبارًا، لمدى جلد المريد، وصبره تجاه مشاق ومصاعب الطريق، ومنها- على سبيل المثال لا الحصر- الطرد من حضرة الشيخ، وبالتالي إذا كان المريد صادقا؛ فيجب عليه؛ ألَّا يبرح عتبة شيخه، مهما كانت الظروف والأسباب، ويسارع في القرب من الشيخ بكل ما أوتي من قوة؛ حتى يصل إلى نوع من الاندماج والانصهار بين الشيخ والمريد؛ تنقل المريد إلى مستوى أعلى من الوجود.(٣)

ومن مظاهر أدب المريد مع شيخه أيضا، أنه لا يعترض على أمر أمره، أو فعل فعله شيخه ،حتى لو كان ظاهره معصية، فسواء فعل الشيخ معصية، أو أمر بها؛ لا اعتراض للمريد، أو بمعنى أدق، لا يستطيع المريد؛ أن يقول للشيخ لم. فالسؤال أو الاستفسار أو الجدل من جانب المريد، مرفوض رفضا قطعيا؛ وذلك من باب الأدب

١) عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص٢٢. وأيضا:
Idries Shah: The world of The Sufi , P:٢٧

٢) عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ١٢

٣) المصدر السابق، ص ٢١

والاحترام مع الشيخ، وبالتالي، يرفع الصوفية الأدب مع الشيخ، بالتوازي مع الأدب مع الله، فمن تأدب مع شيخه؛ تأدب مع الله، ومن أساء الأدب مع شيخه؛ أساء الأدب مع الله.[١]

ومن مظاهر أدب المريد مع شيخه؛ أنه يراعي الله، ويراقبه في معاملته مع شيخه، فلا يفشي له سرا، ولا يكلم شيخه في حال البسط؛ إلا بالأدب والخشوع والخضوع، وعلى المريد أيضا؛ ألا يتزوج امرأة قط، قد نما إلى علمه؛ أن شيخه أراد أن يتزوج منها؛ بل الأكثر من ذلك؛ ألا يتزوج طليقة شيخه أو أرملته، وكذلك يخفض صوته في حضرة شيخه، ويبادل إخوانه في الطريق إلى الله من المريدين الحب والاحترام، وكذلك إظهار كراهة من يكره شيخه، وحب من يحبه.وهذا بالطبع ؛حفاظا على الصلة الروحية، التي تفرضها هذه العلاقة الخاصة بينهما، والتي- إن دلت على شيء فإنما- تدل على مدى تغلغل السلطة الروحية في وجدانه وسلوكه.[٢]

٢-الطاعة:

تعدُّ الطاعة؛ من أهم مظاهر الدعائم السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية، لكنها تطورت من كونها عند الشيعة طاعة تخدم أطماعًا وأهدافًا سياسية، بما يفيد عدم الخروج على الإمام، والقبول بكل قرار له ، مهما كان هذا القرار، أما الطاعة عند الصوفية، فتأخذ منحىً آخر؛ وهو طاعة المريد للشيخ، بعدما ترسم فيه دعائم السلطة الروحية عليه من نسب وحفظ وفراسة وهيبة.

والمريد الصادق عند الصوفية، هو الذي يقدم طاعة شيخه وخدمته، على طاعة والديه وخدمتهما، وأعتقد أن هذا الأمر، لا يتفق تماما مع تعاليم الإسلام المعتدل، فالواجب أولا على المريد؛ أن يطيع الله، ويعبده بصدق وإخلاص، ثم يطيع والديه ويخدمهما، ثم بعد ذلك تأتي طاعة الشيخ وخدمته، إلا أن الطريق عند بعض الصوفية يشترط تقديم طاعة وخدمة الشيخ ،الذي هو بمثابة الأب الروحي عن الأب الحقيقي، ويرجع السبب في ذلك؛ إلى أن أباه الحقيقي قدره، وأباه الروحي "الشيخ" صفاه، وأباه الحقيقي، مزجه بالماء والطين، وشيخه رقَّاه إلى أعلى عليين، وعلى ذلك؛ وجبت الطاعة العمياء والخدمة غير المشروطة للشيخ .[٣]

---

١) المصدر السابق، ص ٢٠٤

٢) محمد أمين الكردي: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ص ٢٨٥وما بعدها. وأيضا: الشعراني: الأنوار القدسية، ص ٦٩ وما بعدها

٣) المصدر السابق: ج١، ص ص ١٩٨ ، ١٩٩

ومن المعروف في القواعد والآداب السلوكية في الطريق الصوفي؛ أن المريد يطيع أولي الأمر في الحكومات الظاهرة ؛ وذلك لأن الطاعة لهم واجبة، والإخلاص لهم مطلوب، هذا في غير معصية أو ارتكاب ذنب.[١] وإذا كانت الطاعة واجبة في الحكومة الظاهرة، فمن باب أولى أن تكون الطاعة لا رجعة فيها، للشيخ الذي يرتبط المريد معه برابطة روحية لا انفكاك منها إلا بموت المريد؛ وذلك لأن موت الشيخ، لا يعني أنه انقطع عن المريد، وإنما يحيا حياة برزخية، ويكون على اتصال بالمريد؛ من خلال الرؤية الصادقة في المنام، والمريد الذي لا يعترف بذلك؛ فهو ليس بمريد صادق.

ومن آداب طاعة المريد الصادق تجاه شيخه؛ أنه لا يشير على شيخه بأي رأي كان، إلا إذا طلب الشيخ منه ذلك، وكذلك عليه أن يكون بارعا في طاعة الشيخ، فإذا طلب منه الشيخ أمرا؛ أجابه بالسمع والطاعة، والهمة في تنفيذ ما أمر به، ويصل الأمر إلى أن يكون، مقياس نجاح المريد في الطريق الصوفي؛ هو درجة رضا الشيخ عنه، وعلى ذلك أمسى الهم الأول للمريد؛ هو التقرب من الشيخ بألا يعصي له أمرا، ليس خوفا منه، بقدر ما هو حب فيه؛ لاعتقاد الصوفية أن السر في الأشياخ لا في الأذكار[٢]

ومن خلال دراسة بعض مظاهر دعائم الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الصوفية ؛ نجد أن هدف الصوفية هدف أخلاقي سلوكي من الطراز الأول، وقد تمثل ذلك في الأدب، الذي يرتقي؛ ليكون أحد أضلاع ثلاثة للتصوف: ضلع القاعدة المتمثل في الأخلاق، ثم الضلعان الآخران وهما الأدب والطاعة. أما الطاعة فعلى الرغم من أنها مظهر موجود عند الشيعة، وهي واجبة عندهم، فإنها تخدم أهدافا سياسية، أما الطاعة عند الصوفية، فهي قائمة –بالدرجة الأولى– على رابط روحي ، يربط بين المريد وشيخه، في ظاهرة فريدة من نوعها، لم نرصدها عند أية جماعة إلى الآن. فلم يؤثر عنهم صراعات مذهبية أو عرقية أو طائفية، وما ذلك إلا؛ لأن الجميع يجمع بينهم هدف واحد، هو المحبة في الله، ولله دون أغراض شخصية.

١) حسن محمد الشرقاوي: الحكومة الباطنية، ص ٢١١

٢) عبدالله حموي: الشيخ والمريد، ص ص ١٢١ ، ١٢٢

نتائج البحث:

أولا: السلطة عند أهل السنة والجماعة، هي الحق الشرعي المكتسب من الرعية، في التصرف في أمورها وشئونها بموجب عقد اجتماعي بين الرعية والحاكم، وهي بشرية، وتقوم شرعيتها؛ على مبدأ الشورى ورضا الرعية.

ثانيا: يعتقد الشيعة أن السلطة هي سلطة إلهية، منصوص عليها من الله سبحانه وتعالى، ومعينة من قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم، والمعنيون بالسلطة، هم الأئمة من آل البيت، بداية من الإمام عليٍّ، وحتى الإمام الغائب، ووظيفتهم حراسة دين الله، وإقامة حدوده، وحفظ شريعته، وتسيير مصالح العباد، وتدبير شؤنهم، والحفاظ على أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، ونشر الأمن، والأمان، والطمأنينة بينهم.

ثالثا: هناك علاقة وثيقة بين السلطة والولاية عند الشيعة؛ فالولاية عندهم تنقسم قسمين: القسم الأول، هو ما يطلقون عليه الولاية الأولى: وهي الولاية الحقيقية والذاتية، وهي خاصة بالذات المقدسة (الذات الإلهية)، أما الولاية الثانية فهي الولاية العرضية الجعلية، وهي ولاية ممنوحة من الله تعالى للمصطفين الأخيار، وهم الرسل والأئمة، وهؤلاء هم المختصون بالولاية؛ عن طريق التفويض الإلهي لهم، وهؤلاء فقط هم المعنيون بالسلطة دون غيرهم.

رابعا: انتفت في عهد التصوف الأول أية صورة من صور السلطة لدى الصوفية ؛ حيث تمسكوا بمبدأ المقاطعة، الذي نتج عن المعارضة الأولى؛ بالاعتراض على حكم بني أمية، وتمثل هذا الاعتراض؛ في عدم التعاون مع هيئات الدولة الأموية ومؤسساتها المختلفة.

خامسا: في حالات نادرة ؛ لجأ بعض الصوفية إلى التمرد على السلطة الحاكمة، مثل محاولة الحلاج، وهي محاولة فردية؛ إذ أراد أن يثير القوى الصوفية في عصره؛ ويجعل لها كياناً إيجابيًّا، ويصحح الصورة السلبية الموسوم بها التصوف ورجاله؛ لأنه يرى في القوى الصوفية ،حجر الزاوية، أو العمود الفقري، الذي يستطيع- من خلاله- أن يهيمن على السلطة في المجتمع، ولكن محاولته باءت بالفشل؛ لأنها كانت ضد المبادىء الصحيحة للإسلام.

سادسا: يعدُّ التنظيم الإداري لشكل السلطة داخل دولة الباطن، أو داخل المجتمع الصوفي الباطني، الذي يبدأ بالقطب ، مرورا بالإمامين، والأوتاد، والأبدال، والنقباء، وتنتهي

بالنجباء، له تأثير خطير على درجة إقناع الصوفية لمريديهم بقوة هذه السلطة، ومدى التحكم فيهم (المريدين).

سابعا: السلطة الصوفية لدى الحركة الصوفية، قائمة– بالدرجة الأولى– على رابطة من أخص الروابط الإنسانية، سموًّا ورُقيًّا، وهي الرابطة الروحية، التي تربط العضو (المريد) بالعضو الآخر من التنظيم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تربط المريدين جميعا بالسلطة الرئيسية للجماعة، وهو الولي (الشيخ).

ثامنا: يرى الشيعة – إلا الزيدية – أن الله سبحانه، قد نص في كتابه الكريم، على أن يكون الإمام علي بن أبي طالب، هو الإمام الذي تؤول إليه السلطة، بعد انتقال المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، ثم ولده من بعده؛ ليكتمل الأئمة الاثنا عشر، وساقوا الأدلة على ذلك؛ من خلال القرآن الكريم، ولا شك أن هذا الفهم المغلوط إنما كان يهدف– أساسا –إلى ترسيخ سلطة سياسية، تحكم المسلمين في شتى بقاع الأرض.

تاسعا: وظَّف الشيعة تعيين الإمام، وعصمته، وعلمه؛ وجعلوها مبادىء ودعائم؛ لتأكيد السلطة الدينية والسياسية؛ ليتمكنوا من السيطرة على تابعيهم.

عاشرا: اصطبغت مظاهر الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة، بالصبغة السياسية، التي لبست ثوبا دينيا، فالهدف الأساسي وراء هذه الأبعاد؛ هو عدم الخروج على الإمام بأية حال من الأحوال، وفي الوقت نفسه ،الطاعة العمياء له.

حادي عشر: تطور مفهوم الأبعاد السلطوية لمفهوم الولاية عند الشيعة منه عند الصوفية، حيث نرى هذا التطور؛ وقد أخذ أبعادا روحية عند الصوفية؛ تمثل في الرابطة الروحية، التي تربط المريد بالشيخ الولي.

ثاني عشر: يعدُّ النسب من دعائم البعد الروحي السلطوي لمفوم الولاية عند الصوفية، وقد تطور ذلك؛ ليحل محل النص والتعيين عند الشيعة؛ لما لآل البيت من مكانة عظيمة عند العامة.

ثالث عشر: تطور مفهوم العصمة عند الشيعة؛ ليصبح الحفظ من الله عند الصوفية؛ لأن معظم أئمة التصوف شبه مجمعين؛ على أن العصمة للأنبياء والمرسلين، والحفظ للأولياء.

رابع عشر: تطور مفهوم العلم سواء الظاهر أو اللدني عند الشيعة؛ ليصبح التوسم والفراسة عند الصوفية؛ وذلك لما للكشف؛ من أثر عظيم في نفوس العامة.

خامس عشر: الهيبة عند الصوفية، لها وقع عظيم عند العامة، ويجب أن يكون للشيخ هيبة، واحترام، وإجلال في نفوس العامة. ولا تنفك الهيبة عن الكرامة عند الصوفية.

سادس عشر: تمثلت مظاهر دعائم البعد الروحي لمفهوم الولاية عند الصوفية؛ في الأدب، وطاعة الشيخ، أو السلوك الأخلاقي؛ حيث يمثل التصوف والأخلاق والأدب مثلثا روحيا عظيما عند الصوفية.

فهرس المصادر والمراجع كما ورد بالبحث:

١- ابن العربي: الفتوحات المكية، مجموعة أجزاء، ت: عبد العزيز سلطان المنصوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠١٧.

٢- أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠١٣ .

٣- أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي: دليل النص بخبر الغدير على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، ت: علاء آل جعفر، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٩٩٨.

٤- أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٩ .

٥- أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف "لولا التعرف لما عرف التصوف"، تقديم محمود النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٠ .

٦- أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي: المحاسن، ج١ ،ت: السيد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت، ط٣،١٤٣٢ .

٧- أبو جعفر الطوسي: تلخيص الشافي، ت: السيد حسين بحر العلوم، ج١، النجف الأشرف، بغداد، ١٣٨٣هـ.

٨- أبو حفص بن الملقن: طبقات الأولياء: ت: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣.

٩- أبو داود: السنن ، كتاب المهدي ، مجلد٣ ، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة الجديدة ، ١٩٩٨.

١٠-أحمد بن عبد الله القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة،ج١، ت: عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

١١-أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

١٢-أحمد محمود الجزار: التصوف مفهومه ومنهج دراسته عند التفتازاني، ضمن كتاب الدكتور أبو الوفا التفتازاني أستاذا للتصوف ومفكراً إسلامياً"بحوث عنه ودراسات مهداه إليه"، إشراف وتصوير د/ عاطف العراقي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤.

١٣-ـــــــــــــــــــ: الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٤-أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

١٥-آنا ماري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، بغداد، العراق، ط١، ٢٠٠٦.

١٦-أندرو هيوود: النظرية الساسية "مقدمة"، ترجمة لبنى الريدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣.

١٧-إيجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام"تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي"، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤. .

١٨-برنابي روجرسون: ورثة محمد صلى الله عليه وسلم"جذور الخلاف السني الشيعي"، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تعليق: عبد المعطي بيومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٥.

١٩-جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠.

٢٠-جمال الدين أبو منصور بن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج١، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة دارالعروبة، القاهرة، ١٩٦٢.

٢١-الحافظ أبو الحسن علي بن محمد الواسطي المعروف بابن المغازلي: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣.

٢٢-الحافظ إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٢٣-حسن الشرقاوي: الحكومة الباطنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

٢٤-ـــــــــــــــ: ألفاظ الصوفية ومعانيها، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٥.

٢٥-حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، ط٤، ١٩٨١.

٢٦-رضوان السيد: الجماعة والمجتمع والدولة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.

٢٧-رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

٢٨-سامي مكارم: الحلاج فيما وراء المعنى والخط واللون، رياض الريس للكتاب والنشر، لندن، ط١، ١٩٨٩.

٢٩-شهاب الدين عمر السهروردي: عوارف المعارف، ملحق إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

٣٠-الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطبة ٤٠، ت: صبحي الصالح، دار الهجرة، مطبعة بهمن، قم، ط٨، ١٣٢١ هـ .

٣١-الشريف المرتضى: الشافي في الإمامة، ت: السيد عبد الزهراء الحسيني الطيب، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٧.

٣٢-الشريف علي بن الحسين المرتضى: الذخيرة في علم الكلام، ت: السيد أحمد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١ هـ.

٣٣-الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٣٤-الشيخ أحمد زروق: عدة المريد الصادق، ت: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم للنشر، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٦ .

٣٥-الشيخ الطوسي: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، مج٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط١، ١٣٦٥هـ .

٣٦-الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.

٣٧-_____: الإرشاد، ج ١-٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٣٨-_____: الإفصاح في الإمامة، ت: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة مهر، ط٢،١٤١٣.

٣٩-_____: المسائل الجارودية، ت: محمد كاظم مدير شانجي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة مهر، قم، ط١،١٤١٣هـ.

٤٠-_____: تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٧٨

http://www.yasoob.com/books/htm١/m٠١٣/١١/no١١٤٧.html

٤١-طه عبد الباقي سرور: الحلاج شهيد التصوف الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
٤٢-عادل فتحي ثابت الحافظ: شرعية السلطة في الإسلام "دراسة مقارنة"، دار الجامعة الجديد للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٦.
٤٣-عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.
٤٤-عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.
٤٥-عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كشف النقاب عن سر الألباب، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د.ت.
٤٦-عبد الله حموي: الشيخ والمريد"النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة يليه مقالة في النقد والتأويل"، ترجمة عبد المجيد حجفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠١٠ .
٤٧-عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، حققه وقدم له: طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد الشافي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨.
٤٨-ـــــــــــــــ: الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، طبعه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
٤٩-ـــــــــــــــ: الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق، ت: حسن الشرقاوي، دار المعارف، الإسكندرية،١٩٩١.
٥٠-عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.
٥١-عبد الرازق أحمد السنهوري: فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٣.
٥٢-عبدالله جنوف: عقائد الشيعة الاثنى عشرية وأثر الجدل في نشأتها وتطورها حتى القرن السابع من الهجرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣ . .
٥٣-علي الميلاني: الإمامة في أهم الكتب الكلامية، منشورات الشريف الرضي، قم، ط١، ١٤١٣.
٥٤-علي بن محمد بن عبد الله الفخري: تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، ت: رشيد البندر، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٤.

٥٥-علي بن الحسين الكركي: قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج، مؤسسة النشر الإسلامية، قم، إيران، د.ت.

٥٦-ـــــــــــــــــــ: جامع المقاصد في شرح القواعد، ج١، ت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ، إيران، ١٤٠٨هـ.

٥٧-علي بن أنجب الساعي البغدادي: أخبار الحلاج، حقق أصوله وعلق عليه: موفق فوزي الجبر، دار الطليعة، دمشق، ط١٩٩٧،٢.

٥٨-علي بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤.

٥٩-علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٦٠-ـــــــــــــــــــ: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦.

٦١-عمر بن الفارض: ديوان ابن الفارض"قراءات لنصه عبر التاريخ"، ت: جوزيبي سكاتولين، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة،٢٠٠٤.

٦٢-فرح موسى: رسالة في الولاية السياسية"مقاربات نظرية بين الفقه والفلسفة"، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٠.

٦٣-فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط"تاريخهم وفكرهم" ، ت: سيف الدين القصير، دار المدى، دمشق، ١٩٩٩.

٦٤-فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٢.

٦٥-فوزي محمد أبوزيد: همة المريد الصادق، دار الإيمان والحياة، القاهرة، ٢٠١٩ .

٦٦-قاسم محمد عباس: أبو يزيد البسطامي "المجموعة الصوفية الكاملة ويليها كتاب تأويل الشطح"، دار المدى، ط٢٠٠٤،١.

٦٧-الكليني: أصول الكافي، ج١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٦٨-لويس ماسينيون، مصطفى عبد الرازق: التصوف، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

٦٩-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط "مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف"، نسخة منقحة، وعليها تعليقات أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨.

٧٠-محمد آل بحر العلوم: بلغة الفقيه، شرح وتعليق السيد حسين بن محمد آل بحر العلوم، ج٣، ط٧، منشورات مكتبة الصدوق، قم، إيران، ١٩٨٤. -

٧١-محمد أمين الكردي الإيربيلي: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، يطلب من المكاتب الشهيرة في مصر، ط١٣٧٢،٩ هـ.

٧٢-محمد باقر الحكيم: الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق، المنار للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

٧٣-محمد باقر الصدر: بحوث حول الولاية، مكتبة النجاح، طهران، ١٤٠٥هـ.

٧٤-محمد بن علي الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣.

٧٥-محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة البنيوية"التراتيب الإدارية"، دار الأرقم ، بيروت، مجلد٢، ط٢، د.ت.

٧٦-محمد علي أبو ريان: الحركة الصوفية في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧.

٧٧-محمد علي بن بابويه القمي الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ، ج١ ، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ١٤٠٥ هـ.

٧٨-محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي: دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩١.

٧٩- محمد مصطفى شلبي: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود فيه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٨٠-محمد نصر مهنا: تجديد الخطاب الديني وإشكالية الخلافة بين السنة والشيعة، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

٨١-محمود إسماعيل: فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥.

٨٢-مصطفى صبحي مراد: نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٨.

٨٣-مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من أبريل، بنغـــازي، ٢٠٠٧.

٨٤-نيفين عبد الخالق: المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، مكتبة الملك فيصل الإســـلامية، الرياض، ط١، ١٩٨٥.

٨٥-وجيه قنصو: الشيعة الإمامية عبر النص والتاريخ، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦.

٨٦-يحيى هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة للنـــشر والتوزيـــع، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢.

المراجع الأجنبية:

١)Arjmand, Said A.: Authority and political culture in Shiism, New York, ١٩٨٨.

٢)Farida Khanam: Sufism "An introduction", Good word books, Nizamuddin West Market, New Delhi, India,٢٠٠٩.

٣) Idries Shah: The world of The Sufi "An anthology of writings about Sufis and their work", I S F Publishing, London, United Kingdom, ٢٠١٩.

٤)Sayed Mostafa Azmayesh: The Teachings of Asufi Master, Simorgh SufiSociety, . http://www.sufism.ir/books/download/english/azmayesh-en/teaching-azmayesh-en.pdf

٥) Trimingham, J. Spencer: The Sufi orders in Islam, oxford, at the clarendon press, London ١٩٧١.

٦)Yousuf Lalljee: Ali The Magnificent./https://downloadshiabooks.com